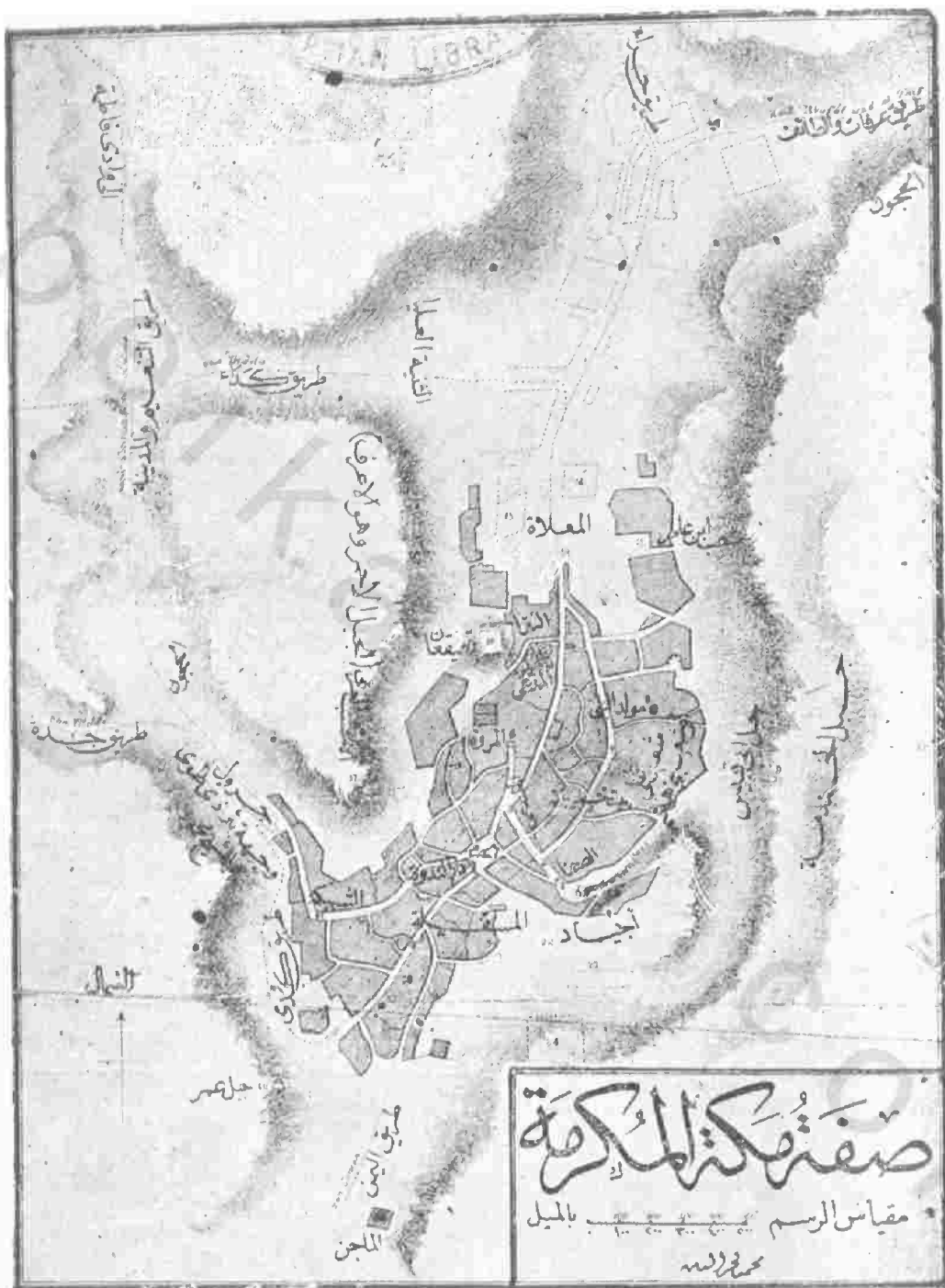


القسم الأول

السيرة النبوية

obeikandi.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
ولو كره المشركون »

السيرة النبوية

مقدمة

قد اهتم كثير من العلماء الاعلام ، وحفاظ ملة الاسلام بتدوين
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها ابلاغ للناس ، وهدى وموعظة
للمتقين . وفيها من الدروس العالمة ما يصح أن يتعلم منه أهل السياسة
وذو الرياسة ، وقادة الأمم . كيف يسوسون الشعوب ، وكيف يؤسسون
الدول والممالك ، وكيف يتوصلون الى أن تكون لهم الكلمة العليا والامر
المطاع ، وكيف يعالج الحاكمون أمور الحكوميين حتى ينقذوهم من الغي
الى الرشيد . ويخرجوهم من ظلمات الجهل الى نور العلم . ويرشدوهم الى
طريق السعادة .

وكان سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه يقول : كان أبى يعاضنا ما نرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه ، ويقول : يا بنى هذه شرف آبائكم
فلا تنسوا ذكرها . وظاهر أن استذكار سيرة المصطفى ومجزاته
يجعل أطواره وأحواله وفضائله وكمالاته وفضائل أصحابه كأنها مشاهدة

مائلة براها القوم رأي العين، فيقوي إيمانهم ويتبصرون ويعتبرون .
وممن ألف في سيرة الرسول أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري
البصري نزيل مصر الذي رواها عن زياد بن عبد الله الكوفي (وهو
من أصحاب الحديث أخرج له البخاري ومسلم) عن أبي بكر محمد بن
اسحاق مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف ، ويقال في نسبه
المطايبي وهو من كبار المحدثين ولا سيما في المغازي والسير .

وقد سبقه الى ذلك الزهري وسيرته أول سيرة ألف في الاسلام
وقفي على آثاره أبو الفتح سيد الناس صاحب السيرة التي تسمى «عيون
الأثر» ثم علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي

ومن المحدثين أحمد بن زبني بن أحمد دحلان الذي وضع كتابا في
السيرة النبوية لخص فيه ما وثق به من السير وحذف المباحث التي تزيد
على المراد مما جعل السيرة بحيث يسهل الالمام بها وتكون في متناول
الكثير من الناس .

ومما يدل على غناية المسلمين بسيرة نبيهم أن تصدى بعض علمائهم
الى شرح ما وضع من السير وتفسير ما اشتمل عليه حديثها ، مثل الفقيه
المحدث أبي القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي المولود بمدينة مالقة
سنة ٥٠٨ هجرية وهو الذي وضع كتابه الروض للانف لشرح سيرة
ابن هشام ، ويكاد يكون سيرة مستقلة لأنه تدارك كثيرا مما فات ابن
هشام ، وهذا الى ما عني به من شرح الألفاظ اللغوية التي جاءت في
منشورها ومنظورها

وقد شرح هذه السيرة أيضا الحافظ المحدث أبو ذر بن محمد

ابن مسعود الحشنى شرحا قصد فيه بيان ما استنبههم من غريبه ومعانيه ،
وايضاح ما التبس تقييده على حامله وراوييه ، مع اختصار لا يخلو وإيجاز
يتم به البيان ويستقل

ومن عجب أن يقوم بطبع هذا المؤلف ونشره امبراطور المانيا
وملك بروسيا ، ومملك ورتمبرج ، مما يدل على أن أهل الأديان الاخرى
عنوا أيضا كثيرا بالبحث فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشر
الكتب النادرة القيمة التى تصدت لشرحها

ولا يخفى أن السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والمرسل
والمنقطع والمعضل دون الموضوع . والمفروض فيمن جمعوها حسن النية
حق لا يتركوا شاردة مما أثر عن الرسول ، أو روي عنه من غير أن
ينقلوها أو يدونوها لاليتعبد بها أو تكون عقيدة ، بل لتكون باعثة
على حب المصطفى والاقرار بنبوته ورسالته ، والتماس الحق واقتباس
المكارم من سيرته ، وقد قال احمد بن حنبل وغيره من الائمة :
إذا روينا فى الحرام والحلال شددنا ، وإذا روينا فى الفضائل ونحوها
تساهلنا وفى هذا كفاية .

﴿ مولد رسول الله ورضاعه وأمهائه الى البعثة ﴾

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل . بينه وبين الفيل
خمسون ليلة . قيل لليلتين خلتا من ربيع الاول ، وقيل ثمان وقيل لاثني عشرة
منه ، وهذه رواية ابن هشام فى سيرته عن أخذ عنهما ، وأبوه عبد الله
ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب . وأمه آمنة
بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب - وقد مات عبد الله بعد

شهرين من مولده ، وقيل قبل أن يولد بشهرين ، وقيل بعد أن حملت به أمه بشهرين ، وقيل بعد سنة من مولده - مات بالمدينة عند أخوال أبيه بنى النجار ، وكان قد ذهب ليمتار لأهله تمرا وهو ابن خمس وعشرون سنة - وكفل النبي عليه الصلاة والسلام جده عبد المطلب الذي سمي النبي عند ولادته محمدا وقال أنى لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم ، ولا يعرف في العرب من تسمي بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد وبقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز - أن يكون ولد آلهم ، وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق ، ومحمد ابن أحيحة من الأوس ، ومحمد بن حمران بن ربيعة

وقد التمس لرسول الله المراضع فاسترضع له من حليلة بنت أبي ذؤيب ، من سعد بن بكر بن هوازن ، واسم زوجها الحرث بن عبد العزى من بني سعد أيضا . وقد حدثت حليلة أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتبس الرضعا في سنة شهباء . قالت : فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله فتأباه اذا قيل لها : انه يتيم ، ذلك انا انما كنا نرجو المعروف من أبي الصبى ، فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت رضيعا غيرى . الى أن قالت : والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلا أخذه ، فقال لها زوجها لا عليك أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة ، فذهبت اليه وأخذته

أما اللباس الرضاع فلم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب حتى جرى المثل : تجوع المرأة ولا تأكل بشديها ، وكان عند بعضهم لباس به فقد كانت حليلة وسيطة في بني سعد كريمة من كرائم قومها ، وربما

كانت حليلة ونساء قومها قد طلبن الرضعا اضطرارا ، للزومة التي أصابتهم ، والسنة الشهباء التي اقتحمتهم .

وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع فقد يكون ذلك لوجوه (أحدها) أن يتفرغ النساء الى الأزواج (وثانيها) أن ذلك قد يكون منهم لينشأ الطفل في الاعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه (وثالثها) أنهم كانوا يرون أنه عار على المرأة أن تسقل برضاع ولدها ، فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعا الى المراضع الاعرابيات

قال عليه السلام لابي بكر رضى الله عنه حين قال له : ما رأيت أفصح منك يا رسول الله ، فقال : وما ينمني وأنا من قريش وأرضعت في بنى سعد

وذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول : أضربنا حب الوليد ؛ لأن الوليد كان لحانا وكان سليمان فصيحاً ، لأن الوليد أقام مع أمه ، وسليمان وغيره من اخوته سكنوا البادية فتمرّبوا ثم أدبوا فتأدّبوا

هذا وقد أجمع أهل السير على حديث شق بطنه وغسل قلبه وهو مع رابته ومرضعته في بنى سعد مرة ، ثم حصل له هذا ليلة الاسراء مرة أخرى ، وإن رسول الله حدث أبا ذر الغفاري بعد البعثة بهذا الحديث وقال في آخر هذا الحديث فكأنني أعابن الأمر معاينة - ولما حصل هذا الأمر قال الحرث بن عبد العزي : يا حليلة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، فقدمت به على أمه فقالت : ما أقدمك به يا ظر ، وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك ،

قالت : فقلت نعم ، قد بلغ الله باني ، وقضيت الذي على ، وتخوفت الاحداث عليه ، فأديته عليك كما تحبين ، وكان ابن خمس سنين وشهر ثم لم تره حليلة بعد ذلك الأمرين ، احداهما بعد نزويجه خديجة رضي الله عنها اذ جاءته تشكو اليه السنة ، وأن قومها قد أسننوا فكلما لها خديجة فاعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات ، والمرة الثانية يوم حنين

وكان رسول الله بعد عودته مع أمه وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ينبتة نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته - فلما بلغ ست سنين توفيت أمه آمنه بالأبواء بين مكة والمدينة - كانت قد قدمت به على أخوال جده من بني عدي بن النجار تزوره أيام ، فماتت وهي راجعه به الى مكة ، وكان عبد المطلب بوضع له فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتي يخرج اليه الا يجلس عليه أحد من بنيه لإجلاله ، فكان رسول الله يأتي وهو غلام جنر حتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني ، فوالله ان له شأنأ ، ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع

ولما بلغ رسول الله ثمانى سنين هلك عبد المطلب فكفله عمه ابو طالب وكان اليه ومعه ، قيل ان ذلك كان بوصية من عبد المطلب ، لأن ابا طالب وعبد الله شقيقان ، وقد انشدوا رجزاً لعبد المطلب يقوله لابنه ابي طالب

اوصيك يا عبد مناف بعدي بمؤتم بعدي أيه فرد

فارقه وهو ضجيع المهد

هذا وقدولى زمزم والسقاية والرفادة بعد عبدالمطاب ابنه العباس
وكان أحدث اخوته سنا فلم تنزل اليه حتى قام الاسلام فأقرها رسول الله

سفره الى الشام أول مرة

ثم ان أبا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام ، فلما تمهيا للرحيل
وأجمع المسير صب به « مال اليه ، وبالضاد المعجمة تعلق به وامسك »
رسول الله فرق له وقال : والله لا أخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه
أبدا ، فخرج به وهو ابن تسع أو اثنتي عشرة سنة ، فلما نزل الركب
بمصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له ، قيل انه
كان حبرا من يهود تباء ، وقيل انه كان من عبد القيس وكان اليه علم أهل
النصرانية . وكانوا كثيرا ما يعرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض
لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما
كثيرا ، ثم أرسل اليهم فقال : انى قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش
فانا أحب أن نحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم . .
فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سنه في
رحال القوم تحت الشجرة . . . فقال رجل من قريش مع القوم : واللات
والعزى ان كان للؤم بنا ان يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام
من بيننا ، ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل
يلحظه لحظا شديدا ، وينظر الى أشياء من جسده وقد كان يجدها عنده
من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا - جعل يسأله عن
أشياء من حاله . . . ثم أقبل على عمه فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني

قال له بميراماهو أبوك، قال فإنه ابن أخى . قال صدقت ، فارجم بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فإنه كائن لابن أخيك شأن عظيم : فخرج به عمه ابوطالب حين فرغ من تجارتهم بالشام ، فشب رسول الله والله بكأوه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأحسنهم جوارا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال .

شهوده حرب الفجار الأخيرة

ولما بلغ رسول أربعة أو خمس عشرة سنة هاجت حرب الفجار الأخيرة بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان ، وكان لكنانة ولقيس فيها أربعة أيام مذكورة ، منها اثنان عند عكاظ ، ثم يوم الحريرة عند نخلة ، ويوم الشرب الذي قيد فيه ثلاثة من بنى أمية انفسهم كي لا يفروا فسموا العنابس «أى الأسود» وقد حضر بعض أبامها رسول الله وقال : كنت انبل على أعمامى ، أى أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموه . وكان الذي هاج هذه الحرب ان عروة الرحال من بنى بكر بن هوزان أجار لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له البراء بن قيس من كنانة أتجبرها على كنانة قال نعم وعلى الخلق ، فخرج فيها عروة الرحال ، وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام ، فاتى آت قريشا فقال ان البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ مع هوازن فارتحلوا وهوازن لا تشعرون ثم

بلغهم الخبر فاتبعهم فادركوهم قبل ان يدخلوا الحرم فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فامسكت هوزان ثم النقب بعد هذا اليوم اباما والقوم متساندون «اي ليس لهم أمير واحد يجمعهم» لانه كان على كل قبيل من كنانة وقريش رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم

وكان آخر أمر الفجار ان هوزان وكنانة تواعدوا للامام القابل بعهاظ فجاؤا للوعد وكان حرب بن أمية رئيس قریش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة بقيقا في حجره فوض به حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذن فلم يشعر والا وهو على بعيره بين الصفيين ينادى بامعشر مضر علام تقاتلون؟ فقالت له هوزان والذي تدعوا اليه فقال الصاح على ان ندفع اليكم دية قتلاكم ونمفوا عن دمائنا قالو وكيف قال ندفع اليكم رهنائنا قالوا ومن لنا بهذا؟ قال انا، قالوا ومن أنت؟ قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس، فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا الى هوزان اربعين رجلا فلما رأت عامر بن صعصعة الرهن في ايديهم عفوا عن الدماء واطلقوهم وانقضت حرب الفجار، وكان يقال لم يسد من قریش مملق الاعتبة وابوطالب، فلما ساد ابنهم مال

﴿شهوده حلف الفضول﴾

وحضر رسول الله وقد جاوز العشرين حلف الفضول وقال بعد ما بعثه الله: «حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما يسرنى به حمر النعم ولو دعيت اليه اليوم لأجبت» تحالفوا ان ترد الفضول على أهلها وكان هذا الحلف أكبر حلف سمع به واشرفه في العرب، وكان اول

من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطاب ، وكان سببه أن رجلا من
 زيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل (أبو عمرو) وكان
 ذا قدر بمكة وشرف . فحبس عنه حقة ، فاستعدى عليه الزبيدي الا حلاف
 فابوا أن يعينوه على العاصي وانتهروه ، فلما رأى الزبيدي الشرأوفى على
 أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في اندبتهم حول الكعبة فصاح
 بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلموم بضاعته يبطن مكة نائي الدار والنهر
 ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا آل رجال وبين الحجر والحجر
 ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر القدر
 فقام في ذلك الزبير بن عبد المطاب وقال ما لهذا مترك فاجتمعت
 هاشم وزهرة وزين بن مرة في دار عبد الله بن جدعان « وهو ابن عم عائشة
 رضى الله عنها » فصنع لهم طعاما وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام
 قياما (وتماهدوا بالله ليكون بدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي
 اليه حقه ، مابل بحر صوفة ، ومارسى حراء وثبير مكانهما وعلى الناس
 في المعاش ، فسمت قريش ذلك حاف الفضول وقالوا لقد دخل هؤلاء
 في فضل من الاصر ، ثم مشوا الى العاصي بن وائل فانزعوا منه سلعة
 الزبيدي فدفعوها اليه وقال الزبير في ذلك .

حافت لئمة - دن حلفا عليهم وان كنا جميعا أهل دار
 نسميه الفضول اذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
 وبعلم من حوالى البيت أنا أباة الضميم ندم كل عار
 وقد نخصص أهل هذا الحلف بالدعوة اليه واظهار التعصب اذا

خافوا ضيما (وان كان الاسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم
يا فلان عند التحزب والتعصب كما حصل بين الحسين وبين الوليد بن
عتبة أمير المدينة من قبل معاوية)

(شهوده بنام الكعبة)

وضع رسول الله الحجر في موضعه حين اختصمت قريش وهو ابن
خمس وعشرين سنة وذلك أن قريشا هدمت الكعبة بسبب سيل أصابهم
فهدمها ، أو نار أحرقتها ، أو لأنهم أرادوا رفعها وتسقيفها ، وإنما كانت
رضما (١) فوق القامة فنقضوها ، وكان أول من ضرب فيها بمول ، الوليد
ابن المغيرة المخزومي وحفروا حتى انتهوا إلى قواعد إبراهيم ، وكانت كل
قبيلة نلى طائفة منها ، فكانت بنو عبد مناف نلى الربع وسائر ولد قصي بن
كلاب وبنو تميم الربع ، وبنو سهم وجمح وعدى وعامر بن فهر الربع ، وابني
مخزوم وقبائل من قريش الربع وهو الركن اليماني ، فلما أرادوا أن يضعوا
الحجر اختصموا فيه ، وقالت كل قبيلة نحن نتولى رفعه إلى موضعه فاقبل
رسول الله وكانت قريش تسميه قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين ، فلما
رأوه مقبلا قالوا قد رضينا بحكم محمد بن عبد الله ، فبسط رسول الله
رداءه ثم وضع الحجر في وسطه ثم قال : لناخذ كل قبيلة بجانب من جانب
الرداء ثم ارفعوا جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه أخذه رسول
الله ووضع به موضعه الذي هو به وسقفوها ولم يكن لها قبل ذلك سقف

(١) الرضم . أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط

﴿ زواجه خديجة ﴾

وتزوج رسول الله صلى الله عليه خديجة بنت خويلد ، وله خمس وعشرون سنة أو ثلاثون سنة ، وولدت له قبل أن يبعث القاسم ورقية وزينب وأم كلثوم ، وبعد ما بعث عبد الله وهو الطيب والطاهر لأنه ولد في الاسلام ، وفاطمة ، وقيل ان فاطمة ولدت في الجاهلية أيضا وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم (تقارضهم) إياه بشيء تجمله لهم ، وكانت قریش قومًا تجارًا ، فلما بلغها عن رسول الله ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه أبعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرا ، وتمطيه فضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله رسول الله منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فنزل في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب ، فاطلع الراهب منها إلى ميسرة وقال له من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ قال له ميسرة هذا رجل من قریش من أهل الحرم ، قال له ما نزل تحت هذه الشجرة الانبي (أى الآن) ثم باع رسول الله واشترى وأقبل قافلا إلى مكة فباعت خديجة ما جاء به فأضعف أو قريبا ، وحدثها ميسرة عن قول الراهب (واسمه نسطور أو نسطورا) فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت . انى قد رغبت فيك لقربائك واسطنتك (شرفك) في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ،

ثم عرضت عليه نفسها وكانت يومئذ أوسط (أشرف) نساء قريش
وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالا ، كل قومها كن حريصاً على ذلك
لو يقدر عليه - فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب
أو عمه أبو طالب أو هما معا ياتقدهم أبو طالب حتى دخل على خويلد
بن أسد أو أخيه عمر بن أسد إذا كان خويلد قد هلك ، فخطب
أبو طالب فقال : الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية اسماعيل ،
وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحـكام على الناس ،
وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به . ثم ان ابن أخى محمد بن عبد الله من لا يوزن
برجل من قريش الا رجح به ، ولا يقاس باحد الا عظم عنه ، وان كان
في المال قل فان المال رزق حائل ، وظل زائل ، وله في خديجة بنت
خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك . فتزوجها وأصدقها عشرين بكرة
وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ولم يتزوج عليها حتى ماتت - وكانت
تسمى الطاهرة في الجاهلية والاسلام

وقبل رسول الله كانت عند أبي هالة هند بن زرارة ، وقبل أبي هالة
كانت عند عتيق عائد بن عبد الله بن مخزوم . ولدت له عد مناف بن
عتيق كما ولدت لأبي هالة ولدا اسمه هند كأبيه مات في طاعون البصرة
والتين أحدهما كان يسمى الطاهر والثاني هالة

والغرض من سرد هذه الفصول ان نبين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نشأ وهو على بصيرة من أمر قومه سواء كان ذلك في احوال
السلم أم في احوال الحرب

﴿ بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

ولدر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوين كريمين ينتسبان الى
 أشرف بيوتات العرب ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
 بن عبد مناف بن قصي بن كلاب الذي يرتفع نسبه الى مدين عدنان
 وليس بين المؤرخين خلاف في أن عدنان من ذرية اسماعيل بن ابراهيم
 (صلوات الله عليهما) وهو أبو العرب العدنانية - ولو استقصينا أجداد
 الرسول عليه السلام وما كان من ذرياتهم لاستوعبنا قبائل العدنانيين
 عامة وهو ما لا يتسع له الوقت ، ولكنه لن يفوتنا أن نحيط بهذا الطرف
 من آباء لعرف منه ما كان من منزلتهم بين قومهم وأن الرسول عليه
 السلام نشأ من بيت مجد وكرم وسيادة ورياسة ، وأن هذا البيت قد
 أخرج رجالا من ذوى الشأن سواء أكان لهم فى الجاهلية أم فى الاسلام
 (١) مضر بن نزار - كانوا اهل الكثرة والغلب بالحجاز من سائر

بنى عدنان ، وكانت لهم رياسة بمكة ويجمعهم فخذان عظيمان هما خندف
 وقيس عيلان - فالى قيس بنسب عامر بن الظرب حاكم العرب فى
 الجاهلية والاعشى ، والاصمعى راوية العرب ، وغنيرة الفارس المشهور
 واحد شعراء الجاهلية الستة ، وهرم بن سنان - ومن قيس بنوه هوزان
 الذين كان منهم بنو سعد بن بكر بن هوزان أظفار النبي صلى الله عليه وسلم
 ومن خندف خزاعة لانهم من غسان ، كذا صححه ابن خلدون
 وكان لخزاعة ولاية البيت قبل قريش فى بنى كعب بن عمرو بن لحي
 وانتهت الى حليل بن حبشية وهو الذى أوصى بها لقصى أو باعها منه بزق

خمر كما هو معروف - ومن خندف أ كثم بن صيفي ، وقطري بن الفجاءة
والاغلب بن سالم أبو الاغالبية بافريقية ومن مضر بطون مدركة بن
الياس التي من أعظمها هذيل وأسد وكنانة وقريش فمن هذيل عبد الله
ابن مسعود وأخوه عتبة (والمسمودي المؤرخ) - ومن أسد زنب أم
المؤمنين ، والكميت الشاعر ، والطماح بن قيس الذي سعى في هلاك أمريء
القيس عند قيصر ، وطلحة بن خويلد الذي كان كاهنا وادعى النبوة ثم
أسلم - هذا وقد كان لمضر ثلاث خصال الاجازة بالناس يوم عرفه
والافاضة بهم غداة النحر ، ونسيء الشهور الحرم .

(٣) كنانة - وهو المصطفى من ولد اسماعيل كما جاء في الاثر وكانت
دبار بنديه بجهات مكة ، وفيهم بطون كثيرة وأشرفها قريش وهم بنو النضر
ابن كنانة وسيأتي ذكرهم ، ثم بنو عبد مناة بن كنانة وبنو مالك بن كنانة
فمن بنى عبد مناة البراض بن قيس قاتل عروة الرحال ، وأبو ذر
الفغاري الصحابي وكثير وعزة وسراقة بن مالك الذي اتبع رسول الله
ليلة الهجرة بجعالة من قريش ليرده ومن بنى مالك فارس العرب
ربيعة بن المصمك .

(٤) قريش - وهم بنو النضر بن كنانة الذي كان يسمى قريشا
وانما اتسبوا الى فهر لأن عقب النضر منحصر فيه ، لم يعقب من بنى
النضر غيره وكان لفهر غالب والحارث ومحارب - فمن محارب الضحاك بن
قيس صاحب مرج راهط قاتل فيه مروان بن الحكم حين يبيع له بالخلافة
ومنهم الخطاب بن مرداس سيد الظواهر في الجاهلية ، وكان يأخذ المربع
منهم وابنه ضرار بن الخطاب من فرسان الاسلام وشعرائه - ومن الحارث

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح أمير المسلمين بالشام عند الفتح
وعقبة بن نافع فاتح إفريقية ومؤسس القيروان بها

ومن غالب أوى الذى ولد كعبا وعاصرا وبطونا أخرى ، فمن عامر
عبد الله بن أبي سرح أمير المسلمين فى فتح إفريقية أيام عثمان ووالى
مصر ، ومن كعب :

العاص

(أ) هشام . ومنهم محمّد بن وائل وعمر بن وهشام ابنا العاصى ،
وعبد الله بن الزبيري الذى كان يؤذى رسول الله بشعره ثم أسلم وحسن
إسلامه ، وعبد الله بن حذافة من مهاجرة الحبشة وهو الذى مضى بكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى

(ب) عدي - ومن بنوه زيد بن عمرو بن نفيل الذى رفض
الأوثان فى الجاهلية والنزم الحنيفة هالة إبراهيم الى أن قتل بقرية من
قريى البلقاء ، وابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة -
وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، وخارجه بن حذافة الذى قتله الحرورى
بمصر بقطعه عمرو بن العاص

(ج) مرة - وكان له تيم ويقظة وكلاب ، فمن نسيم عبد الله بن
جدعان سيد قريش فى الجاهلية ، وأبو بكر الصديق خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم - ومن يقظة بنو مخزوم ، ومنهم أم سلمة أم المؤمنين
وخالد بن الوليد سيف الله وصاحب الفتوحات الإسلامية والمسيب
وابنه سعيد ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة الذى قتل يوم بدر كافرا . وابنه
عكرمة كان صحابيا ، وأسلم أخوه الحارث بن هشام وحسن إسلامه
وله عتق كثير

ومن كلاب قصي وزهرة - فبنو زهرة منهم أمية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وسعد بن أبي وقاص أمير المسلمين في فتح العراق ومن قصي الذي جمع أمر قريش وأثل مجدهم عبد مناف وعبد الدار وعبد العزي - فمن بني عبد العزي خديجة أم المؤمنين بنت خويلد بن أسد بن عبد العزي ، والزبير بن العوام بن خويلد أحد العشرة وابناه عبد الله ومُصعب - ومن بني عبد الدار عثمان بن طلحة الذي دفع إليه رسول الله صلى عليه وسلم يوم الفتح مفتاح الكعبة وسارت حجابة البيت إلى بني شيبه بن طلحة من يومئذ

وأما عبد مناف وهو صاحب الشوكه في قريش وسنام الشرف فقد ولد له عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل - وكان بنو هاشم وبنو عبد شمس متقاسمين رئاسة بني عبد مناف ، والبقية أحلاف لهم - فبنو المطلب أحلاف لبني هاشم ، وبنو نوفل أحلاف لبني عبد شمس - فمن بني عبد شمس العبلات ، وهم بنو أمية الأصغر ومنهم هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أم معاوية بن أبي سفيان ، وبنو أمية الأكبر بن عبد شمس ، ومنهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن العاصي ابن أمية ، ومروان بن الحكم ، وأعقاب الخلفاء الأولون في الإسلام والملوك بالاندلس ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية وأبناؤه ومنهم معاوية وأم حبيبه أم المؤمنين ، وعتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، ولأم رسول الله على مكة إذ فتحها فلم يزل عابها إلى أن مات يوم موت أبي بكر الصديق ومن بني نوفل جبير بن مطعم الصحابي المشهور ، ومن بني عبد المطلب

قيس بن مخزومة الصحابي وابنه عبدالله بن قيس . وأما بنوه هاشم فسيدهم عبد المطلب وكان بنوه عشرة : عبد الله ابو النبي ، وحمة ، والعباس ، وابو طالب ، والزبير ، والمقوم ، وقيل اسمه الغيداق ، وضرار ، وحجل ، وأبو لهب ، وقثم . وقيل كان له اكثر من ذلك ، وقثم والزبير لاعتقب لهما وعقب حمزة انقرض ، ومن عقب ابى لهب عتبة الصحابي . وأما عقب العباس وابو طالب فأكثر من ان يحصر - والبيت والشرف في عبدالله بن العباس ، ومن بني أبى طالب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وأخوه جعفر

ثم نعود الى ذكر عبد المطلب بن هاشم ، فنقول : إن والده هاشما كان قد قدم المدينة فترج سلمى بنت عمرو أحد بنى النجار ، وكانت لشرفها في قومها لاتنكح الرجال حتى يشترطوا لها ان أمرها بيدها ، اذا كرهت رجلا فارقتة ، فولدت لهاشم عبد المطلب وسمته شيبه وهذا يفسر قول سيف بن ذي يزن وقد وفد عليه عبد المطلب في قریش حين ملك اليمن : مرحبا بابن أختنا ، لان سلمى من الخزرج وهم من اليمن من سبأ ، وسيف من حمير بن سبا - ثم ان المطلب كان قد قام بامر مكة بعد أخيه هاشم فلما كبر شيبه وبلغ المطلب مكانه ذهب الى بنى عدى بن النجار بالمدينة وعاد به - ولما حضر رحيل المطلب الى اليمن قال لشيبه وقد سمي عبد المطلب (على ما زعمت قریش وترك اسم شيبه) قال له أنت يا ابن أخي أولى بموضع أبيك فقم بامر مكة فقام مقام المطلب وشرف وساد ، وأطعمهم الطعام ، وأقرت له قریش بالشرف فلم تزل كذلك ، وكانت تسميه الفضل لسماحته ، ولما تكامل لعبد المطلب مجده ألهم بان يحفر بئر زمزم

أرسل الحجاج الأعظم فاعترضته قريش فنذر أن ولد له عشرة من الولد ثم يبلغون معه حتى يمنعه لينحرن أحدهم قربانا للأكعبة ، وما زال بهم حتى أقنعهم فدخلوا بيده ويديها ، ووجدني الحفر مالا فرغبوا إليه أن يشرهم فيه فأبى وجعله صفائح وحلى به باب الأكعبة - ثم تزوج عبد المطلب النساء فولدن له الأولاد ولما كملوا عشرة قال « اللهم اني قد كنت نذرت لك نحر أحدهم واني أقرع بينهم فأصيب بذلك من شئت » فأقرع فصارت القرعة علي عبد الله وكان أحب ولده إليه ، وهو شقيق أبي طالب والزبير والمقوم ، أم الأربعة فاطمة بنت عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فلما انطلق بعبد الله ليذبحه وأخذ الشفرة علمت قريش فلهفته وقالت له ان فعلت ذلك صارت سنة في قومك فقال اني عاهدت ربي واني موف له ، فقال بعضهم . افده . فقام وهو يقول رجزا ثم أحضر مائة من الابل فضرب بالقداح عليها وعلى عبد الله فخرجت على الابل فكبر الناس وقالوا قد رضى ربك فقال اني معيد القداح فأعادها فخرجت على الابل ، ثم أعادها ثالثة فخرجت على الابل فتحرها ، ونادى مناديه ألا فخذوها لحما وانصرف عنها ووثب الناس بأخذونها . وصارت الدية علي ماسن عبد المطلب ، وهي مائة من الابل وهذه القصة تروى من وجوه شتى ولعلها موضوعة لتدل علي أن عبد المطلب كان ممن يوفون بالنذر وكان الله قد أعطاه من الشرف ما لم يعط أحدا : سقاة زمزم ، وحكمته قريش في أموالها وأطعمهم في الحبل ، حتى الطير في وكناتها ، والوحش في شعاب الجبل ، ورفض عبادة الأوثان ، ووحيد الله جل اسمه ، ووفى بالنذر ، وسن سقنا جاء القرآن بأكثرها ،

والسنة من رسول الله بها، ومنها ألا تنكح ذات محرم، والأتوني البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، ونهى عن قتل المومودة، وحرم الخمر والزنا والمباهاة (الملاعنة) وألا يطوف أحد بالبيت عريان، ومنها إضافة الضيف، والا بنفقةوا اذا حجوا الا من طيب أموالهم، ومنها تعظيم الاشهر الحرم - وكان لكل ولد من بنيه شرف وذكر، وفضل وقدر ومجد، وحج أكثم بن صيفي فرآهم فقال من كلام « اذا أحب الله أن ينشئ دولة أنبت لها مثل هؤلاء، هؤلاء غراس الله لا غراس الرجال » وقد أوصى الى الزبير ابنه بالحكومة وأمر الكعبة، ولا يبي طالب برسول الله وسقاية زمزم وقال له قد خلفت في أيديكم الشرف الذي تغفلون به رقاب العرب

وبالتأمل ترى أن رسول الله عليه السلام نشأ من أشرف بيت في العرب وأنه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها عليه ولادة أوقرابة، وان من آباءه وأجداده نشأ رجال كان لهم آثار شتى في انشاء المجد والشرف وبناء الفخار والحمد . والله يعز من يشاء ويؤتي الملك من يشاء .

اخلاق الرسول عليه السلام

إن صفات الجلال والكمال في البشر نوعان : ضروري اقتضته الطبيعة، ومكتسب وهو ما يحمد فاعله . ومن الاخلاق ما يتغاضى الى أحد الوصفين، ومنها ما يمتاز ج منها، فالضروري المحض هو ما ليس للمرء فيه اختيار، مثل كمال الخلقة، وقوة العقل، وصحة الفهم، وفصاحة اللسان، واعتدال الحركات، ويلحق بهذا شرف النسب، وعز الاهل

والعشيرة ، وأما المكتسبه ، فسائر الأخلاق العلية ، من الدين والعلم والشكر والزهد ، والعفة والمروءة ، والشجاعة والصمت وحسن المعاشرة ، ومن هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس ، وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها اكتساباً

وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صفات الجلال الخلقية كمال الأوصاف الخلقية وهذا إلى مالا يأخذه عد ، ولا يسبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص من الكبير المتعال ، مثل فضيلة النبوة ورسالة والإصطفاء والبعث إلى الأحمر والأسود ، والمساكنة عند ذي العرش والنصر والتأييد بالملائكة

وجميع ما تحلى به الرسول من الخصال المكتسبة والآداب الشريفة يجمعه حسن الخلق ومعناه اعتدال قوى النفس وأوصافها ، والتوسط فيها ، دون الميل إلى منحرف أطرافها ، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليه في قوله « وانك لعلی خلق عظیم » مؤكداً بأساليب التوكيد كلها دلالة على أن نبينا كان في الطرف المحمود من مراتب الأخلاق الفاضلة وأنه قد بلغ من كمالها الغاية ، ومن اعتدالها النهاية

والثابت أنه عليه الصلاة والسلام كان مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته . كما يحصل لنواذر الخلق ، ولم يحصل له شيء منها باكتساب ولا رياضة . إلا بجود الهي وعناية ربانيه

ورب قائل يقول : قد نشأ رسول الله بين أتراب من نبت الجاهلية وأولياء عن عبدة الأوهام فكان جديراً أن تطعم نفسه بما يري ويسمع

من أول نشأته الى زمن كهولته ، وأن يتأثر عقله بالبيئة التي تربى فيها
فكيف انفق هذا مع ما أثر عنه من التحلى بالفضائل والتجافى عن الرذائل
ولم يؤثر أن معلما عالج تربيته ولا أن مهذبا قام برياسته ؟

والجواب أن الامر جري في الرسول على غير السنن المعروف -
فما جلته طهارة العقيدة - كما بادر اليه حسن الخليفة - وكلما تقدمت به
السنن زادت فيه الرغبة عما كان عليه قومه مما لا يتفق مع مكارم الاخلاق
ولا عجب أن يحوط الله بعنايته من يختار لوحيه ، وبمنه وهداية خلقه ،
وأن يختصه من دون بنى قومه بالعقل الراجح والادب الجم الذى لم
يعهد أن تزين به نفوس أبناء الاغنياء فضلا عن يتيم فقير كرسول الله ،
نعم لا عجب اذا اكتمل الرسول كاملا - لا والقوم ناقصون ، سلموا وم
مشاغبون ، صحيح الاعتقاد ومهمون ، مطبوعا على الخير وهم بأساليبه
جاهلون ، فهو أثر عناية الله به ، والله أعلم حيث يجعل رسالته

وحقيق بمن باع من الفضائل غايتها أن يكون لزعامه العالم مؤهلا
وللقيام بمصالح الخلق موكلا . لا نريد أن نفهم من هذا أن رسول الله
كان ملكا ولم يك من البشر ، لا بل كان بشرا مكتملا ، فان مكارم الاخلاق
درجات متفاوت الناس فيها ، وهي أيضا عدد وفير يكفي أن بعد المرء
فاضلا باقتناء شىء منها ويكون هذا بالطبع دون من استكملها بمراحل .
كرسول الله واخوانه النبيين فهم جميعا كانوا أرقى أخلاقا وأجمع آدابا
من أهل البيئة التي عاشوا فيها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم

البعثة وظهور الاسلام

جعل الله لكل مقدور من الامور اذا دنا بشيرا او نذيرا ، يُظهر
 بها مبادئ ما أخفاه ، لطفا بعباده من فجأة الامور المذهلة أن تصدم
 ببواهر لا تستدرك - ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انتشر
 في الامم أن الله سيبعث نبيا في هذا الزمان وقد آن أو ان ظهوره ، فكان
 أهل الكتاب يعرفون ذلك من كتبهم وغير أهل الكتاب قد ألهم أولو
 النعمة منهم أن يندروا قومهم - أما رسول الله فلم يعلم أنه المراد بها
 والمؤهل اليها فلم يشعر حتى نودي ، ولا تحقها حتى نوحى ، ليكون
 أبعد من التهمة ، وأسلم من الظنة ، ويكون برهانه أظهر وحرجه أقر
 وكانت الفوضى الدينية في بلاد العرب قد بلغت أشدها ، ثم اتفق
 أن قريشا اجتمعت في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه
 وينحرون له ويعكفون عنده ويدبرون به ، فخلص منهم أربعة نفر
 نجيا . وقال بعضهم لبعض تصادقوا وليكنتم بعضكم على بعض قالوا
 أجل ؛ وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، عبيد الله بن
 جحش من أسد بن خزيمه ، عثمان بن الخويرث بن أسد بن عبد العزى
 ابن قصي ، زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى من كعب بن لؤى وهو
 ابن عم عمر بن الخطاب

قالوا : تعلموا والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطئوا دين أبيهم ابراهيم
 ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، باقوم التمسوا
 لانفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون

الحنفية دين ابراهيم ، فلما ورقة فاستحكم في النصرانية واتبع الكذب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب ، وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة وهناك تنصر وهلك نصرانيا ، وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده - وله مع قيصر أخبر بتلخيص في أنه حين قدم عليه قال القيصر اني اجعل لك خراجا على قریش ان جاءوا الشام لتجارتهم والامنعهم ، فهم قيصر ان يفعل ، ويقال انه نوح عثمان وولاه أم مكة ، فلما جاءهم بذلك انفوا أن يدينوا للملك وصاح قائلهم : الان مكة لقاح لاندين للملك ، فلم يتم له مراده وكان يقال له البطريق ومات بالشام ولا عقب له

وأما زيد بن عمرو فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ، ونهى عن قتل المودودة وقال أعبد رب ابراهيم ونادى قومه بميبي ما مع عليه فوكل به الخطاب عمه شباب قریش وسفهاءها ، فلم يدعوه بدخل مكة الاسرا ، ثم خرج يطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والاحبار في العراق والجزيرة ، ثم أقبل فجال الشام كلها ولم ير ضال يهودية ولا نصرانية هنالك ، وفر يريد مكة حتى نوسط بلاد لحم فعدوا عليه فقتلوه

فكان أمر هؤلاء دليلا على شعور عقلاء القوم بوجوب الإصلاح الديني نوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ولما جد الامر في النبوة ودنا وقتها حبيب الله إلى رسوله الخلاء بعد أربعين سنة من عمره ، فكان يتحنث بغار حراء في ذوات العدد من

الليالى على عادة كانت لقريش في التبرز ثم يعود الى أن استدأ الخلاء في الغار فكان يؤتى بطعامه وشرابه ، مضى على ذلك زمان وهو غافل عن النبوة وان كان في الناس موهوما وعند أهل الكتب معلوما ، الى أن أظهر الله امارات نبوته فأيقظه بها وأرسل اليه جبريل فكان يظهر له ويكلمه ، وربما ناداه من السماء ومن الشجرة ومن الجبل فيذعر لذلك رسول الله ويعود الى خديجة فتقول له استر ، ثم جاءه وقال له (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق : اقرأ وربك الاكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم .) قال رسول الله : فقرأتها ثم انتهت فالتصرفت عني وهببت من نومي فكانت كتب في قاي حجابا - وانصرفت الى أهلي حتى أتيت خديجة - ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت أبشر يا ابن عم واثبت ، ثم انطلقت الي ورقة بن نوفل وهو ابن عمها فأخبرته فقال : والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الامة ، فقولى له فليثبت ، فرجعت الى رسول الله فأخبرته ، ثم لقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة فسأله عما رأى فأخبره فقال له انك لنبي هذه الامة . . . واتكذبته واتؤذنته ولتخرجنه ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لا نصرن الله نصراً يعلمه

ثم تنام الوحي الى رسول الله وهو مؤمن بالله مصدق بما جاء منه وللنبوة أفعال ومثوبة لا يجملها الا أهل القوة والعزم من الرسل ، وآمنت به خديجة وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاءه منه فخفف الله بذلك عن

نبيه لا يسمع شيئاً مما يكره من رد عليه، وتكذيب له فيحزنه ذلك الا فرج الله
 بها عنه اذ ارجع اليها تبذنه وتخفف عليه وتصدقوه وتهون عليه أمر الناس
 ثم فتر عن رسول الله الوحي فترة قيل كانت سنتين ونصف سنة
 حتى شق ذلك عليه فاحزنه فجاءه جبريل بسورة والضحي فجعل رسول
 الله يذكر ما انعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة سرا الى من بطمئن
 اليه من أهله، ثم افترضت عليه الصلاة، وكان اول من آمن به وصلى
 وصدق على بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين، وكان في حجر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله، ثم ابوبكر
 ابن ابي قحافة وكان رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان انسب قريش
 لقريش واعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان
 رجلاً تاجراً اذا خلق وم معروف وكان رجال قومهم يأتونه
 ويألفونه لغير واحد من أمره، لعلهم وتجارته وحسن مجالسته
 فجعل يدعو الى الله والى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس
 اليه فاسلم بدعائه عثمان بن عفان والزبير بن العوام بن خويلد،
 وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله
 فجاء بهم رسول حين استجابوا له فاسلموا واصلوا وكانوا الثمانية الذين
 سبقوا الناس بالاسلام، ثم سلم ابو عبيد قعام بن عبد الله بن الجراح وابو سلمة
 عبد الله بن عبد الاسد، والارقم بن أبي الارقم، وعثمان بن مظعون،
 واخوه قدامة، وعبد الله، والحارث بن المطالب، وسعيد بن زيد بن
 عمرو بن نفيل، وأمر أنه فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر بن
 الخطاب وأسماء وعائشة بنتا أبي بكر وعامر بن فهر مولا، وعبد الله

ابن مسعود وعبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد وجعفر بن أبي طالب ،
وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعمار بن ياسر وصهيب بن سنان ، وخالد
ابن سعيد بن العاص وامراته .

ثم دخل الناس في الاسلام ارسالاً من الرجال والنساء حتى فشا
ذكر الاسلام بمكة وتحدث به ، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله بعد ثلاثة
ان يصدع بما جاء به منه وأن يبادي الناس بأمره فقال له : « فاصدع بما
تؤمر وأعرض عن المشركين »

فلما بادى رسول الله قومه بالاسلام وصدع به ، لم يبعد منه قومه ،
ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابوا فاعظموه وناكروه وأجمعوا
خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون --
وكانوا اذا صلوا ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا من قومه فيدنا سعد بن أبي
وقاص في نفر من أصحاب النبي في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم
نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى
قاتلوهم فضرب سعد يومئذ رجلاً من المشركين بلحى حمل فشججه ، فكان
أول دم أهرى في الاسلام ، وحذب على رسول الله عمه أبو طالب وقام
دونه ومنعه ، فمضى الرسول على أمر الله مظهر لهذا الأمر لا يرد عنه شيء .
صمد ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه ، فاجتمعت اليه قريش فقالوا
مالك ، فقال : أرايتم ان أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما
كنتم تصدقون ، قالوا بلى ، قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .
فقال أبو لهب : تبالك ! الهذا جمعتنا ؟

— وقد رأيت أن أبين ما كان بين النبي وقريش على النحو الآتي :

(المرحلة الاولى)

لما رأت قريش ان رسول الله لا يعتيهم من شىء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن أبا طالب قد حذب عليه ولم يسلمه لهم اتبعوا الطرق الآتية

(١) مثى رجال من أشرافهم وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس وأبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وأبو البختري العاص بن هشام ابن الحرث ، والاسود بن المطلب بن أسد ، وأبو جهل وهو عمرو بن هشام بن المغيرة ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر ، والعاص بن وائل ابن هشام ، فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أعلامنا وذل آباءنا ، فلما أن تكفه عنا ، وأما أن تخرى بيننا وبينه فلك على مثل مانحن عليه من خلافه فنكفيكه - فقال لهم أبو طالب قولوا رقيقا وردم ردا جميلا فانصرفوا ، ومضى رسول الله على أمره بظهر دين الله ويدعو اليه

(٢) ثم شرى الامر بينهم وبينه حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثر قريش من ذكر الرسول بينها وتذا مروافيه وحض بعضهم بعضا عليه . ومشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له : ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وقد استهيناك من ابن أخيك فلم تنبهه عنا وانا والله لانصبر على هذه حتى تكفه عنا او تنازله واباك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين وانصرفوا

فمعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ، ولم يطب نفسا
باسلام رسول الله لهم ولا خذلانه فبعث اليه فقال له يابن اخي ان
قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فابق على وعلى نفسك ،
ولا تحملي ما لا اطيق . فظن الرسول أنه قد بدا لعمه فيه بدو .
وأنه خاذله ومسلمه . وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . فقال باعم
والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا
الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه متركته . ثم استعبر فبكى وقام
فناداه أبو طالب فقال أقبل يابن أخى فأقبل عليه فقال اذهب فقل
ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا

(٣) ثم ان قريشا حين عرفوا ان أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله
واسلامه مشوا اليه بمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا يا أبا طالب هذا
عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش (أقوى وأجلد) فخذة فلك عقله
ونصره . واتخذة ولدا فهو لك . واسلم اليها ابن أخيك فنقتله فانما هو
رجل برجل - قال والله لبئس ما تسوموننى . اتمطونى ابنكم أغذو ولكم
وأعطيكم ابني تقتلونه . هذا والله ما لا يكون أبدا . فقال له المطعم بن عدى
والله لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد
ان تقبل منهم شيئا . فقال والله ما أنصفونى ولكنك أجمت خذلانى
ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدالك . فحطب القوم وحيت الحرب
وتبايد القوم وبادي بعضهم بعضا

ثم قوامروا على من في القبائل منهم من أصحاب الرسول الذين
اسلموا معه فوئدت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم

عن دبلهم ، ومنع رسول الله منهم بعه أبو طالب الذي قام عند ما رأى قريشا تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني عبد المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدفع عن رسول الله إلا ما كان من أبي لهب - فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرق من جدم معه وحدثهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم وفضل الرسول فيهم ومكانه منهم ليشدهم رأيهم

(٤) ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذاسن فيهم وقد حضر الموسم ، فقال بامعشر قريش إن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بمضكم بعضا قالوا: فاقم لنا رأيا نقل به ، قال بل أتم . فقولوا اسمع قالوا: نقول كاهن أو مجنون أو شاعر أو ساحر ، فلم يرض واحدة منها وقال: والله إن لقوله لحلاوة ، فتفرقوا عنه وجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحدا لا حذروه أباه وذكروا لهم خبر امره ، فكان ذلك بمثابة إعلان عن رسول الله إلى العرب عامة إذ صدر الناس من الموسم إلى بلادهم ولديهم خبر رسول الله يذكرونه إلى قومهم

فلما انتشر أمر رسول الله في العرب وبلغ البلدان ذكرهم بالمدينة ولم يكن حي من العرب اعلم بأمر الرسول حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج لما كانوا يسمعون من أخبار اليهود

﴿ المرحلة الثانية ﴾

١ - ثم إن قريشا اشتد أمرهم لاشقاء الذي أصابهم من عداوة رسول

الله ومن اسلم معه فاغر وابرسول الله سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجون ورسول الله مظهر لامر الله لا يستخفى به مبادلهم ، بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه ايام على كفرهم ، فاجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط... لقد صبرنا منه على أمر عظيم فيينا هم كذلك اذ طام رسول الله فاقبل يمشي ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزوه ببعض القول ثم مر بهم الثانية فغمزوه ثم الثالثة فغمزوه فوقف فقال لهم كلمة لم يستطيعوا لها ردا ، وانصرف الرسول حتى اذا كان اجتمعوا في الحجر ايضا حتى طلعت عليهم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يتولون له أنت الذي عبت الهتنا وديننا فقال لهم نعم أنا ثم أخذ أحدهم بمجمع رداءه فقام أبو بكر دونته وهو يبكي ويقول أقتلون رجلا ان يقول ربي الله ، فجذبوه من شعره رصدهوا فرق رأسه

٢ - ومرو أبو جهل برسول الله عند الصفا فأذاه وشتمة ونال منه بعض ما يكره من المييب لدينه والضعيف لامره فلم يكلمه رسول الله ومولاة لأمير الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة في مسكن لها تسمي ذلك ثم انصرف فعمد الى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبس حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قص وكان أعز فتى في قريش واشد شكامة فلما مر بالمولاة وقد رجع الرسول الى بيته قالت له يا أبا عمارة لو رأيت مالقى ابن أخيك محمدا نفا من أبي الحكيم بن هشام وجده هاهنا جالسا فأذاه

وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد ، فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى لم يقف على أحد مُعِدًّا لابي جهل اذا لقيه أن يُوقع به ، ونظر اليه جالسا في القوم فأقبل نحوه ورفع قوسه فضربه بها فشجه شجة منكورة ثم قال : أتشتمه ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فرد ذلك على أن استطعت ، فقام رجال من بني مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فاني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا

وتم حمزة على إسلامه فعرفت قريش أن الرسول قد عز وامتنع . وأن حمزة سيمنمه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه - فانظر كيف كان ايداء الرسول سببا في عطف صناديد قومه عليه ومساوغةهم الى نصرته

المرحلة الثالثة

(١) وقام عتبة بن ربيعة وكان سيدا في قومه فقال - ورسول الله جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش الا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ، ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ، ورأى أصحاب الرسول يزيدون ويكثرون ، فقالوا بلى ، فقام حتى جلس الى رسول الله فقال يابن أخى انك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة والمكان والنسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم و فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضا . فقال له قل ، فقال : يابن أخى

ان كنت انما تريد بما جئت من هذا الأمر مالا فجعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك ربييا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه ، فقال له الرسول : استمع مني ، فقال : أفعل ، فقرأ عليه الآيات الأولى من سورة فصلت الى السجدة منها فسجد ، وقال له أسمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ؟ فقام عتبة الى أصحابه وقال لهم : أطيعوني واجملوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم . وان يظهر على العرب فتلكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به ، فقالوا سحرك والله بلسانه ، قال هذا رأي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم

(٢) ولما فشا الاسلام بمكة في قبائل قريش ، اجتمع عتبة وأبوجهل وأصحابهما ، وقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا اليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا ليكلموك فأرثهم ، فجاء سريعا وهو يظن ان قد بداهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويمزحهم ^{عليهم} عنهم ، فكلموه بمثل ما كلمه به عتبة بن ربيعة ، فقال لهم في بعض كلامه : ما جئت بما جيتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل علي كتابا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا

منى فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لحكم الله بينى وبينكم ، قالوا : فان كنت غير قابل منا شيئا فسل ربك أن يسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأ نهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فانه كان شيخا صدق ففسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ، فان صدقوك وصنعت ما سألتك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وانه بعثك رسولا فقال لهم : ما بعث بهذا اليكم ، فقالوا : فسل ربك أن يبعث معك ما يكافى صدقك بما تقول ، وسأله فليجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى ، فقال : ما أنا بفاعل وما بهذا بعثت اليكم ، قالوا : فسله أن يسقط علينا كسفا كما زعمت ، فقال : ذلك الى الله ان شاء أن يفعل بهكم فعل ، قالوا : فقد أعذرتنا اليك وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا ، فقام عنهم ، فقال أبو جهل : ان محمدا قد أبى الا ما ترون وأنى أعاهد الله لا جالساً له غدا بحجر ما أطيق حمله ، فاذا سجد فضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا لا نسلمك لشيء أبدا فأمض لما تريد فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف وجلس للرسول ينتظره وجلس قريش فى أنديتها تنتظر ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد الرسول احتمل أبو جهل الحجر وأراد أن يلقيه عليه فما هو الا ان نكص على عقبيه منهزما

فقالوا له : مالك ؟ فقال عرض لى دونه فحل من الابل ما رأيت مثل

هامته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي ان يأكلني

وعند ذلك قال لهم النضر بن الحرث ، انظروا في شأنكم والله لقد نزل بكم أمر عظيم ، وكان النضر من شياطين قريش ومن كانوا يؤذون رسول الله وينصب له العداوة ، فبعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلام عن محمد فانهم أهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء ، فسألاهم فقالوا لهما : سلوه عن **شيء** فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وان لم يفعل فالرجل متقول **روا** فيه رأيكم ، فسأله عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان أمرهم ؟ وسأله عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ، ما كان نبؤه ، **وسأله** عن الروح ماضي ؟ فعادا فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد **بناموا** رسول الله فسأله عنها فقال : أخبركم بما سألتكم عنه غدا ولم يقل ان شاء الله ، فأبطأ عليه الوحي خمس عشرة ليلة حتى أرجفه أهل مكة وحزن الرسول وشق عليه ما يتكلم به القوم ، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها أجوبة مسائلهم فلم يزدهم هذا الاعترا وعنادا

المرحلة الاخيرة

ثم عدوا على أتباع رسول الله فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا ينجسونهم ويمذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم بفتنوتهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم

وكان بلال مولى أبي بكر لبعض بني جمح وكان صادق الاسلام -

فكان أمية بن خلف الجحى يخرج به إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد حتى مر به أبو بكر وهم يصنعون ذلك ، وكانت دار أبي بكر في بني جمح ، فقال لأمية لا تتقى الله في هذا المسكين ، حتى متى ؟ قال : فانت الذى افسدته فانقذه ، قال : أفعل ، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به ، قال قد قبلت  هو لك ، وأخذ أبو بكر بلالا فاعتقه وأعتق معه على الاسلام سترقاب بلال سابعهم ومنهم عامر بن فهيرة

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وأبيه وأمه (وكانوا أ  بيت اسلام) إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنة ، فاما أمه فقتلوها وهي تأبى الا الاسلام

وكان أبو جهل الذى يغرى بهم فى رجال من قريش ، اذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة ، أنبئه وخزاه ، وقال تركت دين أبيك وهو خير منك ، لانسفن حاكمك وأنصفيلان رأيك ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجرا قال والله لنكسبن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وإن كان ضعيفا ضربه وأغري به

حدث ابن عباس قال والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجمعونه ويمطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى نزل به حتى يعطيهم ، سألوهم من الفتنة ويقولوا له اللات والعزى الهك فيقول

نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده
 وكان من المعذبين أيضا خباب بن الارت الذي قال لرسول الله :
 أدع لنا ، قال : انكم لتعجلون ، لقد كان الرجل ممن كان قبلكم يمشط
 بأمشاط الحديد ويشق بالمنشار فلا يردده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا
 الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله ،
 والذئب على غزه

الهجرة الاولى الى الحبشة

ولما رأى رسول الله ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من
 العافية ، لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنهم
 مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم الى الحبشة فان بها ملكا لا يظلم
 عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لاكم فرجا مما أنتم فيه ،
 فخرج عند ذلك المسلمون الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله
 بدينهم ، فكانت أول هجرة في الاسلام

وكان أول من خرج من المسلمين من بنى هاشم جعفر بن أبي
 طالب وامراته ، ومن بنى أمية عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول
 الله وعمر بن سعيد بن العاص وأخوه خالد وزوجتها ، وعبد الله بن
 جحش وأخوه عبيد الله وامراته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأبو موسى
 الاشعري وعبد الله بن مسعود وأخوه عتبة ، ومن بنى جمح عثمان بن
 مظعون وأخواه قدامة وعبد الله وغيرهم كأبي عبيدة عامر بن عبد الله بن
 الجراح ، والمعروف أن الذين خرجوا أولا كانوا عشرة نفر وعليهم عثمان

ابن مظعون ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون حتى كان جميع من
لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صفارا
أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم
فلما رأت قريش أن أصحاب الرسول قد آمنوا واطمأنوا بأرض
الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا، انتمروا بينهم ان يبعثوا فيهم
رجلين من قريش جليدين الى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم
ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وآمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي
ربيعه بن المغيرة وعمرو بن العاص بن وائل واهدوا معهما هدايا الى النجاشي
وإلى بطارقته وكان معهما في ذلك عمار بن الوليد بن المغيرة وله مع
عمرو بن العاص في سفرهما الى الحبشة حديث طويل كان في آخره أن
عمرا مكر به وأفسد ما بينه وبين النجاشي حتى صنع بمارة ما جعله بهيم
على وجهه بين الوحوش في الجبال حتى مات في خلافة عمر .

ولما قدم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص الحبشة ، قدما
الى النجاشي وبطارقته تلك الهدايا ثم قال له : أيها الملك انه قد ضوى الى
بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا
بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت ، وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم
من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم عليهم وهم أعلى بهم عينا (أبصر بهم)
وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . فوافق البطارقه ورغبوا الى النجاشي
ان يسلمهم اليهما ، فغضب النجاشي وقال لا افعل ولا يكاد قوم جاوروني
ونزلوا بلادى واختاروني على من سواي ، حتي أدعوهم فأسألهم عما يقولون
هذان في أمرهم ، وارسل اليهم فلما جاءهم رسوله تشاوروا فيما يقولون

وانفقوا على ان يقولوا ما علموا وما أمرهم به النبي ، فلما جاء سألهم ما هذا الذين الذين فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟ فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فذكر ما كانوا عليه في جاهليتهم حتى بعث الله رسوله فدعاهم الى الله وافراده بالعبادة ، وعدد عليه أمور الاسلام ، ثم قال فصدقناه وآمنا به واتبعناه ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وقتلونا عن ديننا ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا الا نظلم عندك ؛ فقال النجاشي : هل عندك شيء مما جاء به عند الله ؟ فتلا عليه آيات من سورة كهيعص ، فقال النجاشي : ان هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا اسلمهم اليك .

فلما خرجا فكر عمر وفي النكابة بهم وقال والله لا تينه غدا بها استأصل به خضرهم وجاء النجاشي في الغد فقال له ان القوم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم ، فقال جعفر في حق عيسى قولا رضى به النجاشي ، وأخذ من الارض عودا ، وقال ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود ، ثم قال : اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي ، ثم قال البطارقة ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، فخرجوا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به

فلما قدما على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب الرسول وردهم النجاشي بما بكرهون ، وكان عمر بن الخطاب قد أسلم في هذه الفترة فكان رجلا ذا شكيمة لابرام من وراء ظهره ، امتنع به أصحاب الرسول

وبحمزة حتى عازوا قريشا

اسلام عمر بن الخطاب

كان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وكان اسلامه بعد خروج المهاجرين الى الحبشة ، وكان يقول لمن إسلام عمر كان فتحا ، وان هجرته كانت نصرا ، وان أمارته كانت رحمة مع انه كان من أقسى الناس على من آمن برسول الله فكانوا يلقون منه أذى وبلاء وشدة

ويروى في حديث إسلامه أن أخته فاطمة وكانت عند سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل ، أسلمت وأسلم بهاها ، وكان يستخفى بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت التيمي النسب الخزاعي الولاء يتخلف الى فاطمة بقراءة القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ، ومع الرسول عمه حمزة وأبو بكر وعلى في رجال من المسلمين ممن كان أقام بمكة ولم يهاجر فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له : الى أين ؟ قال أريد محمدا هـ - ذا الصافي الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها فأقتله ، فقال له : والله لقد غرتك نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم

أمرهم؟ قال وأى أهل بيتي؟ قال خنتك وابن عمك سعيد، وأختك فاطمة فقد والله أسلمنا فعليك بهما فرجع عمر الى أخته وختمه، وعندهما خباب ومعه صحيفة فيها طه يقرئها إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في ناحية وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ودخل عمر فقال: ما هذه الهينة التي سمعت؟ فأنكر، قال بلى لقد أخبرتنا أنكما تابعتما محمدًا على دينه، وبطش بسعيد فقامت فاطمة لتكفه فضربها فشجها، فقالا له قد أسلمنا فاصنع ما بدالك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم علي ما صنع فارعوى وقال لأخته: إعطني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرءون آثافاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتباً - فقالت له: أنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف بالذي يحلف به ليوذنها إليها إذا قرأها، فطمعت في إسلامه وقالت له: أنك نجس علي شركك وأنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فاعطنه الصحيفة فقرأها وقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرم، وعند ذلك ظهر خباب وقال: يا عمر والله اني لارجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر، فقال: دلني على محمد حتى آتيه فأسلم فذله على رسول الله، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى الرسول وأصحابه فغرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من الصحابة فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً سيفه، فرجع الى الرسول وهو فزع، وقال: هذا عمر متوشحاً السيف، فقال حمزة: فأذن له، فان كان جاء يريد خيراً بذلناه له وان كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله: ائذن له:

فأذن له الرجل، ونهض إليه الرسول حتى لقيه بالحجرة، فأخذ بحجزته أو بجمع رداءه، ثم جبذه جبذة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى. حتى ينزل الله بك قارعة؟ فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، فكبر الرسول تكبيرة عرف أهل البيت من الأصحاب أن عمر قد أسلم - فتفرق أصحاب الرسول من مكانهم وقد عز مافي أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة، وعلموا أنهما سيمنعان الرسول وينتصفون بهما من عدوهم

ولما أسلم قال: أي قريش أنقل للحديث؟ فقبل له: جميل بن معمر فنحدا عليه فقال له: أعلمت يا جميل أني قد أسلمت واتبعت دين محمد؟ فلم يراجعه، وقام يجر رداءه حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا أن عمر بن الخطاب قد صبا فيقول عمر من خلفه كذب ولكني قد أسلمت

يروى أنه قال: لما أسلمت تذكرت أي قريش أشد لرسول الله عداوة حتي آتية فأخبره أني أسلمت قال: قلت أبو جهل، فأقبلت حين أدهمت حتي ضربت عليه بابه، فخرج الى فقال: مرحبا وأهلا يا ابن اختي، ما جاء بك؟ قال: قلت جئت لأخبرك اني آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب في وجهي وقال: قبحك الله وقبح ما جئت به

مقاطعة قريش لبني هاشم وبنى المطلب

وهمت قريش بقتل رسول الله وأجمع ملؤها على ذلك وبلغ أمرهم
أبا طالب فقال :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أغيب في التراب دفينا
الى آخر ما قال .. ولما علمت قريش أنهم لا يقدرّون على قتله
وأن أبا طالب لا يسلمه ، وكانوا على بينة بما هو حاصل من أن أصحاب
الرسول للذين هاجروا قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن
النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن عمر بن الخطاب قد أسلم فكان
هو وحزمة مع الرسول وأصحابه ، وأن الاسلام جعل يفسو في القبائل ،
اجتمعوا واثمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم
وبنى المطلب على ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا
منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتوافقوا
وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم - وعند ذلك
انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبى طالب فدخلوا معه في شعبه
فاجتمعوا اليه . لم يخرج من بنى هاشم الا أبو لهب فظاهر قريشا ، ولقد
أنذر أبو طالب قريشا بسوء مغبة هذا الأمر في قصيدته التي جاء فيها
أفيقروا أفيقروا قبل أن يحفر الثرى • وبصبح من لم يحزن ذنبا كذي ذنب
فلم يستمع له أحد - ومن جراء ذلك أقاموا في الشعب سنتين
أو ثلاثا ، حتى جهدوا لايصل اليهم شيء الا سرا أو مستخفيا ، حتى أنفق
أبو طالب ماله ، وأنفقت خديجة مالها ، وصاروا الى حد الضر والفاقة ،

وكانوا يأكلون الحطب وورق السمر

كل هذا ورسول الله يدعو قومه سرا وجهرا بالليل والنهار ، مناديا بأمر الله ، لا يتقى فيه أحدا من الناس ، فجعلت قريش (حينما رأت أن الله منعه منها ، وقام عمر وقومه دونه فحاولوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به) يمزونه ويستهنئون به ويخاصمونهم ، وجعل القرآن ينزل بما أحدثوا ، وكان منهم أبو لهب وامرأته أم جميل حمالة الحطب ، والعاص بن وائل السهمي ، وأبو جهل بن هشام ، والنضر بن الحرث ، وعبد الله بن الزبيري ، والوليد بن المغيرة الذي قال : أنزل على محمد وأترك ، وأنا كبير قريش وسيدها ، ويترك أبو مسعود بن عمير سيد ثقيف ، فنحن عظماء القريتين ، وقد اعترض بعضهم رسول الله وهو يطوف بالكعبة فعرضوا عليه أن يعبد ما يعبدون ويعبدون ما يعبد فنزلت فيهم سورة الكافرين

ومما تقدم تعلم أن حصر النبي وقومه في الشعب لم يك إلا في معنى المقاطعة التي بينوا دائرتها لا أنهم منعوه أن يخرجوا منه بتاتا

حديث الغرانيق اجمالا

وبلغ مهاجرة الحبشة اسلام أهل مكة ، فأقبلوا حتى دنوا من مكة فعملوا أن الخبر باسلامهم مكذوب ، فلم يدخل أحد منهم مكة إلا بجوار أو مستخفيا ، وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا - وسبب ما بلغهم أن رسول الله قرأ سورة النجم حتى وصل الى قوله : أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، فزعموا أنه أضاف بعد ذلك (انها الغرانيق العلى وان

شفاعتهم (ترتجى) فطار ذلك بمكة ، وسر المشركون وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير ، فسجد رسول الله في آخرها وسجد المشركون والمسلمون ، فمن هنا اتصل بالمهاجرين في الحبشة ان قريشا أساموا - وهو حديث خرافة لا أصل له ، لأن رواه زعموا أن الشيطان ألقى ذلك في روع رسول الله وهو يتلو الآيات الكريمة وهو طعن صريح على عصمة الرسول في التبليغ عن الله - قال ابن اسحاق : هى من وضع الزنادقة - وقال القاضى عياض : إن هذا الخبر لم يخرج أحد من أهل الصحة ، ولا رواه أحد بسند متصل سليم ، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم

هذا ولو صح ما قاله نقلة قصة الغرائيق لارتفعت الثقة بالوحى ، وانتقض الاعتماد عليه ، وإن كان الكلام في الناسخ كالكلام في المنسوخ يجوز أن يلقى فيه الشيطان ما يشاء ولا يهدم أعظم ركن للشرائع الإلهية وهو العصمة - على أن وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرائيق العلى لم يرد في نظمهم ولا في نثرهم ، ولا كان جاريا على ألسنتهم ، ولا شئ من معانى الغرائيق يلائم الآلهة والاصنام ، حتى يطلق عليها في فصيح القول الذى يعرض على ملوك البلاغة وأمراء الكلام - واعلم أن الأمنية في قوله مالى « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى » ان تكون له أمنية في قومه وهى أن يتبعوه ومصوا أهواءهم ، فيلقى الشيطان العثرات في سبيلها بالوسوسة في صدور الناس حتى يشوروا في وجهه ويعاجزوه ويمجدوه ولكن الله غالب على أمره يبعث نور الحق فيمحق ما ألقاه الشيطان من ظلمات الباطل ، ويبهب السلطان لآياته فيحكمها ،

وبثبت دعائمها، وبنشئ من ضعف أنصارها قوة، وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان هي السفلى، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وفي هذا كفاية

عود - وكان أبو بكر الصديق قد أودى كثيرا فاستأذن النبي في الهجرة فأذن له فخرج حتى بعد عن مكة يوما أو يومين فلقيه ابن الدغنة مالك أخو بني الحرث بن بكر بن عبد مناة وهو يومئذ سيد الأحابيش، فقال له أبو بكر أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي، فقال له ارجع وأنت في جوارى، فرجع فكف القوم عنه، غير أنه كان يصل في مسجده علنا فمضى قريش إلى ابن الدغنة وقالوا له: نخشى على صدياننا ونسائنا وضعتنا أن يفتنهم فمره أن يدخل بيته فليصنع قبيـه ما شاء، فلما جاء أبا بكر ذكر له ذلك فقال له: أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله؟ قال فاردد على جوارى، قال: قد رددته عليك، فاعلم ابن الدغنة قريشا وقال شأنكم بصاحبكم

حديث نقض الصحيفة

قام في نقض تلك الصحيفة نفر من قريش، ولم يبل فيها أحدا حسن من بلاء هاشم بن عمرو بن ربيعة، وكان ذا شرف في قومه وأصلا لبني هاشم، يأتي بالبمير ليلا قد أوقره طعاما حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فدخل الشعب عليهم، ثم يأتي به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك

مشى هشام إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي وكانت أمه

عاتكة بنت المطلب فقال : يا زهير ، أقدر رضىت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ، أما أنى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته الى ما دعاك اليه منهم ، ما أجاب اليك احد أبدا - قال : ويحك يا هشام ! فماذا اصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معى آخر لقمتم فى نقضها حتى انقضها ؟ قال قد وجدت رجلا قال من هو ، قال : أنا ، قال له زهير ابغنا ثالثا ، فذهب الى المطعم ابن عدي فأخبره فانضم اليهما ، وقال له : ابغنا رابعا ، فذهب الى ابى البختري بن هشام فقال له نحوا مما قال لمطعم فقال : ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود فأخبره فقال له : وهل على الأمر الذى تدعونى اليه من احد قال نعم : وسمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة وهنالك أجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير أنا ابدؤكم فاكون اول من يتكلم ، فلما أصبحوا غدوا الى اندبتهم ، وغدا زهير عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس ، وقال لا اقدم حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، قال ابو جهل : كذبت ، والله لا تشق ، فقال زمعة : انت والله اكذب ، ما رضىنا كتابتها حين كتبت ، وقال ابو البختري : صدق زمعة لانرضى ما كتب فيها ولا نقر به ، فقال المطعم : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، ونبرأ الى الله منها ومما كتب فيها : فقال هشام نحوا من ذلك ، فلما رأى ابو جهل من اجماعهم قال : هذا أمر قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان .

وكان أبو طالب اذ ذاك في ناحية المسجد فقام المطعم الي الصحيفة
ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم

وبهذه المناسبة نذكر هذه الرواية : قال رسول الله لابي طالب
يا عم ان الله قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو
لله الا اثبتته فيها ، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال : أربك
أخبرك بهذا ؟ قال نعم . فخرج الى قريش فقال : ان ابن أخي أنبرني بكذا
وكذا ، فاهم صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخي ، علمتم أنكم ظالمون لنا
قاطعون لأرحامنا ، وان كان كاذبا علمنا أنكم على حق وأنا على باطل ،
فقال القوم رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال — فزادهم
ذلك شرا فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا
ولما مزقت الصحيفة بطل ما فيها بالضرورة ، وخرج بنو هاشم من
الشعب وبنو المطلب وأسلم في ذلك اليوم بشر كثير ، وقويت نفس أبي
طالب واشتد صوته وقال لهم قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة ،
فنكسوا رؤوسهم ، وقالوا : انما تأتوننا بالسحر والبهتان —

قريش تحول بين الناس وبين رسول الله

ولما لم يفلحوا في المقاطعة التي استحدثوها أرادوا أن يحولوا بين
قصاد مكة وبين الرسول فاتفق أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة
فمضى اليه رجال من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا ليبيبا
فحذروه رسول وقالوا له في حديثهم : انما قوله كالسحر يفرق بين الرجل
وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، واننا نخشى

عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فسمع منهم ولـكنه ذهب الى رسول الله فوجده قائما يصلي عند الكعبة فسمع منه ، ثم قال في نفسه اتى لرجل ليذب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته؟ - فلما انصرف الرسول الى بيته تبعه وأخبره بما قال القوم فعرض عليه رسول الله الاسلام وتلا عليه القرآن فأسلم وقال يا رسول الله ، انى امرؤ مطاع في قومي وراجع اليهم وداعيهم الى الاسلام ، فلما رجع دعاهم فتباطئوا فعاد الى رسول الله فشكاه ما هم فيه فقال الرسول اللهم اهددوسا الى الاسلام ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم ، فلم يزل يدعو حتى هاجر رسول الله الى المدينة فقدم عليه بن أسلم من قومه بخيبر فأسلمهم لهم مع المسلمين ثم أقام بالمدينة حتى قبض الرسول وارتدت العرب فسار مع المسلمين الى البصرة وقتل شهيدا .

وخرج اعشى قيس الى رسول الله يريد الاسلام ومعه قصيدته التي يقول في أولها

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا
فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره بمقصده ، فقال يا أبا بصير : انه يحرم الزنا ، فقال ما لي فيه من أرب ، قال فانه يحرم الخمر ، فقال أما هذه فوالله ان في النفس منها العلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتية فأسلم ، فانصرف فمات في عامه وكان الذى لقي الأعشى عامر بن الطفيل - ويقول بعض المؤرخين ان صح حديث الاعشى وما ذكر له في الخمر فلم يك هذا

بمكة وانما كان بالمدينة لأن الحظر انما حرمت بالمدينة بعد بدر وأحد ، غير
أن هذا يصح أن ينقض بان رسول الله حرم الحظر على نفسه كما حرمها
أشراف قومه على أنفسهم وتبعه في ذلك اصحابه فكان تحريمها فيما بينهم
كالدين المتبع والله اعلم

وجاء رسول الله عشرون رجلا من نصارى الحبشة حين باغهم خبره
فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه . ورجال من قريش في
أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا دعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن
فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به ، وقاموا
عن رسول الله فانصرفوا فاعترضهم ابو جهل في نفر من قريش فقالوا
لهم : خيبكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترنادون لهم
لتأتوا بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقت دينكم وصدقتهم
بما قال . فقالوا لهم : سلام عليكم لانجاهلكم ، لنا ما نحن عليه والكم ما آتاه
عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا

والغرض من سرد هذه الحكايات أن نبين أن قريشا لم يكفها
ايداء رسول الله ومقاطعتها قومه عامة من أجله ، فأخطر يعملون الحيلة
للحيلولة بين رسول الله وبين من يفد على مكة حتى لا يكون بعض الوافدين
عرضة الى هداية الله فيسلم ويعود الى قومه فينشر دين الله
وفي هذه الايام كان الاسراء والمعراج . وحديثهما طويل وبخاصة
في أن ذلك كان بقظة أو مناما وان كان الوحي من الله يأتي الانبياء
أيقاظا ونياما

وفاة خديجه وأبي طالب

وقبل الهجرة بثلاث مانت خديجة ، وكانت للرسول وزير صدق ،
وبعدها بثلاثة أيام مات أبو طالب ، فروى أن الرسول قال : اجتمعت
على هذه الامة فى هذه الايام مصيبتان لا أدرى انا بأيهما أشد جزعا .
يعنى موت خديجة وأبي طالب . وكان يقول بعد ذلك : ما نلت قريش
منى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب - وذلك أن النفر الذين كانوا
يؤذون رسول الله كانوا جيرانه ، ولم يسلم منهم الا الحكم بن العاص
وكان أحدهم ، أما الباقيون فكانوا يطرحون عليه الاقذار وهو يصلى ،
ويحدثون غير هذا مما كانوا لا يطمعون به فى حياة أبى طالب ، ولقد كان
يعترضه السفية منهم فينثر التراب على رأسه .

ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم تكن تنال منه فى
حياة عمره ، فخرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من
اقومه . ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل . فلما انتهى
الى الطائف عمد الى ثلاثة نفر من ثقيف هم يومئذ سادة قومهم وأشرفهم
وهم عبد باليل ومسمود وحبيب ابنا عمر وبن عمير ، فجلس اليهم الرسول
فدعاهم الى الله وكلامهم بما جاءهم به من نصرته والقيام معه على من
خالفه من قومه ، فقال أحدهم . هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله
أرسلك ، وقال الثانى : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الآخر :
والله لا أكله أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم
خطرا من أن أرد عليك ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لى أن

أَكَلَمَكَ — فقام رسول الله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ،
ثم قال لهم : أكنتموا عني فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم
يسبونونه وبصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجؤء الى حائط عتبة
وشيمة ابني ربيعة وهما فيه ، فعمد الى ظل كرمة فجاس فيه وهما يريان
مالقى من سفهاء أهل الطائف ، وهو يقول اللهم أشكوا اليك ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، فتحركت له رحمتها فدعوا
غلاما نصرانيا كان لهما وقالاه : خذ قطفا من العنب ثم اذهب به الى
ذلك الرجل فقل له يأكل منه ، فلما وضع رسول الله يده فيه قال بسم
الله فقال الغلام : ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فسأله الرسول
عن بلده ودينه فقال : نصراني من أهل نينوي ، فقال النبي : من قرية
الرجل الصالح يونس بن متي ؟ فقال الغلام وما يدريك ما يونس بن
متي ؟ قال : ذلك أخى كان نبيا وأنا نبي . فأكب الغلام على الرسول يقبل
رأسه ويديه وقدميه وآمن به — وعاد رسول الله الى مكة

عرض رسول الله نفسه على القبائل

ولما قدم الرسول مكة شرع بعرض نفسه على القبائل في المواسم
يدعوهم الى الله وبخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه
حتى يدين عن الله ما بعثه به ، وكان يقف على منازل القبائل من العرب
فيقول : يا بني فلان انى رسول الله اليكم فكان عمه أبو لهب عبد
العزى بن عبد المطلب يلازمه ويقول من خلفه : يا بني فلان ان هذا
انما يدعوكم الى أن تسلمخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به

من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه

وأنى رسول الله كندة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه، وكذلك بنو كلب وبنو حنيفة الذين ردوا عليه ردا لم يك أحد من العرب أقبح منهم فيه .

وأنى بني عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم وهو بيجرة بن فراس رأيت ان نحن يايعنك على أمرك ثم أظهرك الله علي من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك ! قال الامر الى الله يضعه حيث يشاء ، فقال : أفنهدي نحورنا للعرب دونك ، فاذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه ، ولما صدروا رجعوا الى شيخ لهم فذكروا له حديث الموسم وما كان من رسول الله في دعوته وما كان منهم في إباءهم ، فقال : يا بني عامر ، هل لها من تلاف ، هل لذنابها لمن مطلب والذي نفسه بيده مات قولها اسماعيلي قط وأنها لحق ، فأين رأيكم كان عنكم !

ثابر رسول الله على عرض نفسه على القبائل في المواسم ولا يسمع بقدام يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله وكان من هولاء سويد بن غصاة أخو بني عمرو بن عوف ، قدم حاجا أو معتمرا وكان قومه يسمونه السكامل لجلده وشرفه ونسبه ، فتصدى له رسول الله حين سمع به فدعاه الى الله والى الاسلام ، فقال سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ، قال الرسول : وما معك ؟ قال : مجلة لقمان يعنى حكمته ، فقال له الرسول : اعرضها ، فعرضها عليه ، فقال الرسول : ان هذا الكلام حسن . والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله على

هو هدى ونور ، وتلا عليه القرآن ودعاه الى الاسلام ، فلم يبعد منه ثم
انصرف الى المدينة فقتل يوم بعث

بديء اسلام الانصار

لم يك (الانصار) اسما لهم في الجاهلية حتى ساء لهم الله به في الاسلام
وهم بنو الأوس والخزرج سكان المدينة وكانت بينهم حروب على الملك .
فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه ، وانجاز مواعده له ، خرج في الموسم
فعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطا
من الخزرج أراد الله بهم خيرا فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج
قال : من موالى يهود ، أي من حلفائهم ، قالوا : نعم ، قال : افلا تجلسون
أكلعكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام
وتلا عليهم القرآن ، وكان اليهود يقولون لهم اذا كان بينهم شيء : ان
نبيا مبعوث الآن قد اظلم زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم ، فلما كلم
رسول الله اولئك النفوس حتى قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلوا والله للذي
الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه ، فأجابوه وصدقوه ، وقبلوا منه
ما عرض عليهم من الاسلام ، وقالوا له : انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم
بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى ان يجمعهم الله بك ، فسنة سدم
عليهم فندعوهم الى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا
الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ، ثم رجعوا الى قومهم
وكانوا ستة نفر من الخزرج منهم أسعد بن زرارة وعوف بن الحارث
ورافع بن مالك بن العجلان ، فلما قدموا على قومهم دعوهم الى الاسلام

فأجابوا حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله حتى إذا كان العام القابل وافى الموسم اثنا عشر رجلاً، فلقوا رسول الله بالعقبة وهي العقبة الأولى فيابعدوا بيعة النساء إذ لم يك قد اقترض الحرب - حدث عبادة بن الصامت قال . بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى على ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرقة ولا نرني ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا ولا نمصيه في معروف ، فان وفيتم فلمكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم الى الله عز وجل ، إن شاء غفر وان شاء عذب - فلما انصرفوا أرسل معهم مصعب بن عمر بن هاشم بن عبد مناف، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ، فكان يسمى بالمدينة المفري . وبعد ذلك أسلم أشrafهم ، ومنهم سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، ثم فشا الإسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون

ثم إن مصعب بن عمير عاد الى مكة وخرج من خرج من الأنصار المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله العقبة من أوسط ايام التشريق ، وكان معهم البراء بن مسعود فكان يصل الى الكعبة فلم يتبعه المسلمون وقالوا : والله ما بلغنا أن نبينا يصل الى الشام ، وما نريد نخالفه ، فظلموا علي حالهم وظل على حاله حتى قدموا مكة فسأل البراء رسول الله فقال له قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . فرجع الى قبلة الرسول ، وصلى الى الشام ، ولم يأمره باعادة ما قد صلي لأنه كان متأولاً

ولما فرغوا من الحج وكانت الليلة التي واعدوا رسول الله لها خرجوا

ومعهم أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام وكانوا يكتُمون أمرهم ممن معهم من المشركين ، بعد أن مضى ثلث الليل وتسلاوا تسلل القطا مُستخفين حتى وصلوا الى الشعب من العقبة وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا ومعهم امرأتان نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمر ، فطلع عليهم رسول الله ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له - فكان العباسي أول متكلم قال يامعشر الخزرج (على التغليب) إن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم والاحقوق بكم . فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه اليه وما نهوه ممن خالفه ، فأتتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم ، فمن الآن فدعوه ، فانه في عز ومنعة في قومه وبلده ، فقالوا : سمعنا ما قلت ثم قالوا تكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم الرسول فتسلا القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم ، فأخذ البراء بن معرو بيده وقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما تمنع منه أزرتنا ، فبايعنا يارسول الله فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ، ورثاها كابرًا عن كابر ، فاعترض أبو الهيثم بن النبهان وقال : يارسول الله إن بيننا وبين الرجال حبلا وإنا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ، فتبسم رسول الله ثم قال : بل الدم لدم والهدم الهدم ، أنا ومنكم وأنتم مني ،

أحارب من حاربتم وأسالم من أسالمتم، أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم، فانتخبوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، منهم أسعد بن زرارة وهو أبو أمانة، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عباد - من الخزرج، وأسيد بن حضير، وآخران من الأوس، فقال لهم رسول الله: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومي يدي المسلمين قالوا نعم، وهذه هي بيعة العتبة الثانية - ثم قال لهم رسول الله: ارفضوا إلى رحاكم، فقال له العباس بن عباد: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيا فئنا، فقال: لم تؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحاكم فرجعوا وناموا

أمر قريش بعد العتبة الأخيرة

ولما أصبحوا غدت عليهم جلة قريش فقالوا: يا معشر الخزرج انه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه علي حربنا، وأنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، فصمت المسلمون وانبعث المشركون يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه (وقد صدقوا إذ لم يعلموه) فقام القوم ويقال انهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا له مثل ذلك، فقال: ان هذا الأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا وما علمته كان، فانصرفوا عنه

وتنطس القوم الخبر أى أكثروا البحث عنه فوجدوه صحيحا فخرجوا فى طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر فأخذوه فربطوا يديه الى عنقه بنسع رحله وأقبلوا به يضربونه ويأخذون بجمته وكان ذا شعر كثير ويجرونه فلم يخلصه منهم الا أبو البختري بن هشام إذ أوى اليه ، وقال ويحك! أما كان بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ، قال بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدى ، وللحرث ابن حرب بن أمية تجارهما ، قال: ويحك! فاهتف باسم الرجلين ففعل ، وجاءهما من قال لهما : ان رجلا من الخزرج ليضرب بالأبطح وانه ليهتف بكما ، قالا: ومن هو؟ قال : سعد بن عبادة ، قالا: صدق فذهبا فخلصاه ولما وصل الأنصار المدينة أظهروا الاسلام بها وفى قومهم بقايا من شيوخ لا يزالون على دينهم من الشرك ومنهم عمرو بن الجوح وكان سيدا من سادات بني سلمه وأشرفهم وقد أسلم ابنه معاذ وشهد العقبة وبايع الرسول ، فأسلم

هذا - والملاحظ فى بيعة العقبة الآخرة أنها كانت على حرب الأحمر والأسود، أما العقبة الأولى فكانت بعد الاسلام، على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، اذ كان رسول الله لم يؤذن له فى الحرب، ولم تحلل له الدماء ، انما يؤمر بالدعاء الى الله ، والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل .

وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوم عن دينهم ، ونفوم من بلادهم ، فهم بين مفتون فى دينه ، وبين معذب فى أيديهم ، وبين هارب فى البلاد فرارا منهم - فلما عتت قريش على الله ،

وردوا عليه ما أراده بهم من الكرامة ، وكذبوا نبيه ، وعذبوا من عبده ووحدته ، وصدق نبيه واعتصم بدينه ، أذن الله لرسوله في القتال ، والامتناع والانتصار ، ممن ظلمهم وبغى عليهم

فلما أذن له الله تعالى له بالحرب وتابعه هذا الحي من الانصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه وآوي اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله أصحابه بالخروج الى المدينة، والهجرة اليها، واللحوق باخوانهم من الانصار ، وقال: ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا ارسالا ، وأقام الرسول بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة

وكان أول من خرج الى المدينة أبو سلمة الخزومي ، ثم عامر بن ربيعة ، وعبدالله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد وبقيّة أهله ، حتى غلقت دار بني جحش ، وصرها أبو جهل فقال : هذا عمل ابن أخي هذا ، فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع بيننا ، ثم تابع المسلمون الهجرة ، فهاجر عمر بن الخطاب ، وطلحة والزبير ، وصهيب ، وحمزة ، وزيد بن حارثة ، وعثمان بن عفان ، وغيرهم ولم يتخلف أحد من المسلمين الا من حبس أو فتن ألا على بن أبي طالب وأبو بكر الصديق

الهجرة النبوية

واجتمعت قريش على قتل رسول الله ، وقالوا ليس له اليوم أحد ينصره وقد مات أبو طالب ، وانفقوا على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام فهد ، فيجتمعوا على رسول الله فيضربوه بأسيا فهدم ضربة رجل واحد ،

فلا يسكون لبني هاشم قوة بمساعدة جميع قريش ، وهذا آخر رأى
اجتمعت كلمتهم عليه ، ذلك أنهم قد رأوا لرسول الله شيعة من غيرهم
بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم ، أبقنوا أنهم قد
نزلوا دارا ، وأصابوا منهم منعة ، وحذروا خروج رسول الله اليهم وعرفوا
أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا في دار الندوة في يوم يسمى يوم الزحمة
يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله حين خافوه ، فقال قائل
منهم : احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه
من الشعراء الذين كانوا قبله ، زهير والنابغة ومن مضى منهم من هذا
الموت حتى يصيبه ما أصابهم - وقال آخر : لئن حبستموه ليخرجن أمره
من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلا وشكوا أن يثبوا
عليكم فينزعه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلّبوكم على أمركم ، وقال
آخر : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإذا أخرج عنا فوالله
ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا
أمرنا وألفتنا كما كانت .. الى أن قام أبو جهل فقال : والله ان لي فيه
لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو ؟ قال أرى ان نأخذ من كل
قبيلة فتى جليدا نسيبنا وسيطافينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما
ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فندس تريخ منه
فانهم اذا فعلوا ذلك ، تفرق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف
على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فمقلناه لهم ، فاستحسنوا
رأيه وتفرقوا على أن يفعلوا ذلك الذي اشار به أبو جهل وانعدوا الليلة
يجتمعون بها عند باب الرسول ليقتلوه

ولما جاءت الليلة الموعودة تربصوا بباب رسول الله حتى بنام فيقتلوه ، وعلم رسول الله بما دبروا ورأى مكانهم من بابه ، فقال لعل ابن أبي طالب : ثم على فراشي وتسبح ببردي هذا الحضرى الأخضر فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم ، وخرج اليهم رسول الله وأخذ الله على أبصارهم « ناموا » فلا يرونه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب ، ثم انكبوا فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه التراب ثم جعلوا ينظرون غليظا على الفراش فيحلفون أنه رسول الله حتى أصبحوا فقام على رضى الله عنه عن الفراش ، فلما رأوه جاءوا فقالوا له أين ابن عمك ؟ قال : قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم ، فطلبوا الاثر فلم يبقوا عليه

أما رسول الله فما عزم أن ذهب الى بيت أبي بكر ظهرا وكان لا يخطئ أن يأتي هذا البيت أحد طرفى النهار لما بكرة واما عشيته ، فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله هذه الساعة الا لأمر حدث فتأخر له عن سريره فجلس وقال : اخرج عنى من عندك ، قال : يا رسول الله هما ابنتاي ، فقال : قد أذن لى فى الخروج والهجرة ، قال أبو بكر الصحبة يا رسول الله ، قال : الصحبة ، فبكي أبو بكر من الفرح وكان من قبل يستأذن رسول الله فى الهجرة فيقول له : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فطمع أن يسكون رسول الله انما يعنى نفسه حتى قال ذلك ا وكان أبو بكر ذا مال فابتاع راحلتين فاحتبسهما فى داره يملأهما اعداد لذلك ، وقال : يا رسول الله ان هاتين راحلتين قد كنت أعددتيهما ،

لهذا فاستأجرا رجلا من بكر يقال له عبد الله بن أريقط (وكان مشركا)
يدلها على الطريق ، فدفعها اليه واحتلبها فكانتا عنده يرعاها لميعادهما
لم يعلم بخروج رسول الله الا أبو بكر وأهله ، أما على فقد أخبره
الرسول بذلك وأمره أن يتخلف بمكة حتى يؤدي عن رسول الله الودائع
التي كانت عنده للناس

ثم خرج رسول الله وأبو بكر من خووخه في ظهر بيت أبي بكر ،
وعمد الى غار بشور ، وهو جبل بأسفل مكة فدخلا ، وأمر أبو بكر ابنه
عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيها نهاره ، ثم يأتيهما اذا أمسى بما
يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاہ وراعى
غنمه أن يرعى عليهما في الغار ليلا ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما
من الطعام اذا امست بما يصاحبها .

وأتى أبو بكر الغار ليلا فدخله قبل الرسول لينظر أفيه سبع أوحية
بقي رسول الله بنفسه ، أما عبد الله بن أبي بكر فقد قام بما عهد اليه خير
قيام ، ولذلك كانت أخبار القوم عند الرسول وصاحبه ، وأما عامر بن
فهيرة ، فكان يرعى مع الرعيان نهارا ، فاذا أمسى أراح عليهما الغنم فاحتلبا
ودحبا ، فاذا غدا عبد الله من عندهما الى مكة أتبعه عامر بالغنم حتى
يعق عليه

ظل الرسول وصاحبه ثلاث ليال بالغار حتى سكن عنهما الناس -
ويقال أن القوم اقتفوا أثر الرسول وقد ألهم الله حمامتين وحشيتين
فوقعتا أو وقفتا على وجه الغار ، وألهم العنكبوت فسجبت على بابه ،
فكان ذلك مما صد المشركين عن دخوله ، وقد قال أبو بكر للرسول وهما

يريان القوم من داخل الغار : لو أن أحدهم نظر الى قدمه لرآنا، فقال
 له الرسول : ما ظنك باثنين الله ثالثهما، ولما أبو بكر القوم وبخاصة القافة
 منهم اشتد حزنه على الرسول ، وقال له : ان قلتُ فانما أنا رجل واحد،
 وان قتلت أنت هلكت الامة ، فقال له الرسول : لا تحزن ان الله معنا
 ثم جاء ذلك البكرى الذي استأجراه بالراحلتين فقدم أبو بكر
 أفضلهما فقال الرسول : لا أركب بعيرا ليس لى ، فقال هي لك يا رسول
 الله ، قال لا ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ، قال كذا وكذا ، قال : قد
 اخذتها به ، قال : هي لك يا رسول الله ، فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر
 عبد الله بن فهيرة خلفه ليخدمهما فى الطريق ، وأخذ الجميع طريق عفان
 أما قریش فقد عرجوا ، وهم يفحصون عن الرسول ، على دار أبي بكر
 فخرجت اليهم أسماء ، فقالوا : أين أبوك ؟ فقالت : لأدري ، فرفع
 أبو جهل يده وكان فاحشاً فاطم خدّها لكمة طرح من جرائها قرطها ،
 ثم انصرفوا ومكث آل أبي بكر ثلاث ليال لا يعلمون أين توجه حتى
 سمعوا رجلا يتغنى بأبيات والناس يتبعونه الى أعلى مكة وهو يقول
 جزى الله رب الناس خير جزائه رقيقين خلا خيمتي أم معبد
 وهى امرأة من بنى كعب من خزاعة ، فعلموا وجهة الرسول فى
 هجرته مع ابي بكر وهى المدينة ، وسمعت قریش ذلك المغنى فأرسلوا
 الى أم معبد وهى بخيمتها فسألوها هل مر بك محمد الذى من حيلته كذا ،
 فقالت : لا أدري ما تقولون ، وانما ضافني حالب الشاة الحائل (التى لم
 تلقح سنة أو سنتين او اكثر) .

وكان أبو بكر قد احتمل ماله كله معه وهو خمسة آلاف أو ستة

آلاف درهم ، فلما علم أبو قحافة دخل على آل أبي بكر فقال : لاني لأراه قد فجعكم باله مع نفسه ، فقالت له أسماء : كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا وما زالت بذلك الشيخ حتى سكن

وجملت قريش بعد ان الرسول قصد المدينة مائة ناقة لمن يرده عليهم ، فطمع سراقه بن مالك الكنانى أن تكون له ، فأخذ فرسه وسلاحه واستقسم بأزلامه وقداحه ، فعلى الرغم من أنه كان يخرج له السهم الذى يكره ، اقتفى أثر رسول الله وتبعه ، فمشر به فرسه فى الطريق جملة مرات وكانوا يتشاءمون اذا عثرت أفراسهم ، فلم يرعه ذلك ولم يثنه عن متابعة الرسول حتى أدركهم ، وكان منهم بحيث يراهم فعثر به فرسه عثرة وذهبت بداه فى الأرض وسقط عنه سراقه ، ثم حاول الفرس تخليص يديه وعالج ذلك بشدة حتى انتزعها وتبعها دخان كالأعصار ، فدعر سراقه حينئذ وعلم ان الرسول قد منع منه ، وملا قلبه الرعب ، فما هو الا أن أخذ يناديهم ويعرفهم باسمه ، ويقول : انظروا الى أكلهم فوا الله لا يأتيكم شيئا تكرهونه ، فقال الرسول لأبى بكر : قل له : وما تبغى منا ، قال : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك ، فكتب له كتابا والقاء اليه فأخذه فجعله فى كمناته ورجع الى القوم فلم يذكر شيئا ، فلامه أبو جهل حين رجع بلا شيء فقال له سراقه

أباحكم والله لو كنت شاهدا
لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فن ذا يقاومه
نم كان لكتاب سراقه هذا شأن بعد فتح مكة وحين فرغ الرسول من أمر
حنين والطائف إذ تقدم به الى رسول الله هناك ، فقبله الرسول ورضى إسلامه

أما رسول الله فقد مضى نحو الساحل حتى عارض الطريق العام أسفل عسفان وما زال يغذ السير حتى قدم قباء على بني عمرو بن عوف ساعة الضحى - وكان أهل المدينة وما حولها ينتظرون بها على أفواء الطرق حينما سمعوا بمخرجه من مكة حتى إذا حيت عليهم الشمس آووا إلى بيوتهم يستظلون بها حتى كانت الساعة التي قدم فيها، والقوم في مظالمهم بالبيوت رأه يهودى فصاح بهم هذا جدم قد جاء فخرجوا فإذا هو في ظل نخلة، وأبو بكر بظله بردائه فعرفوه

عود - وأما على بن أبى طالب فأقام بمكة ثلاثة حتى أدى عن رسول الله الودائع ولحق برسول الله فنزل معه بقباء حيث نزل

وبقى رسول الله بقباء أربعة أيام وهناك وضع أساس مسجد لبنى عوف ثم أخرجه الله إلى المدينة فكانت كل قبيلة من الأنصار تلتقاه تقول هلم إلينا يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة فيقول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة لناقة حتى مر ببنى عدي بن النجار فقالوا: يا رسول الله هلم إلى أخوالك إلى العدد والعدة فكرر ما قال لغيرهم، فسارت الناقة غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لا يثنى بها حتى بركت أمام دار بنى مالك بن النجار فنزل، فأحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه الرسول حتى بنى مسجده ومساكنه، وكان يعمل في ذلك بنفسه ليرغب المسلمين في العمل، فعمل الأنصار والمهاجرون، ودخل عمار ابن ياسر، وقد أثقلوه باللبن، فقال قتلوني يا رسول الله، فقال له: ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية

ولما نزل رسول الله على أبى أيوب نزل في السفلى، وأبو أيوب

فى العلو، فرغب الى رسول الله ان ينزل فى العلو، فقال له الرسول
أرفق بنا وعن بعشانا

وتلاحق المهاجرون الى رسول الله فلم يبق بمكة منهم أحد الا مفتون
أو مجوس، ولم يوعب أهل هجرة من مكة بأهلهم وأموالهم الى الله وإلى
رسوله الا أهل دور مسمون منهم بنو جحش وبنو مظعون فان دورهم
أغلقت بمكة، وعدا أبو سفيان على دار بنى جحش فباعها فشكوا الى
رسول الله فقال لعبد الله بن جحش، الا ترضى يا عبد الله أن يعطيك
الله بها دارا خيرا منها فى الجنة، قال بلى، قال فذلك لك

واستجمع لرسول الله اسلام هذا الحى من الانصار، فلم تبق دار
من دورهم الا أسلم أهلها ما عدا جماعة من الأوس فانهم أقاموا
على شركهم

ثم كتب كتابا بين المهاجرين والانصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم،
وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم، واشترط لهم

وأخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والانصار، وقال :
تآخوا فى الله أخوين أخوين، ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤانسهم
من مفارقة الأهل والعشيرة، وليشد أزر بعضهم ببعض. وأخذ بيد
على بن أبى طالب فقال : هذا أخى، وكان حمزة بن عبد المطلب عم
رسول الله وزيد بن حارثة مولى رسول الله أخوين، وكان جعفر بن
أبى طالب ومعاذ بن جبل أخوين، مع غياب أولهما فى الحبشة، وكان
أبو بكر وخارجة بن زهير من الخزرج أخوين، وعمر بن الخطاب
وعتب بن مالك من الخزرج أخوين، وأبو عبيدة وسعد بن معاذ

أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلامة بن سلامة أخوين ، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت من بنى النجار أخوين ، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين وهكذا حتى انتهى الرسول من إيجاد هذه الرابطة التي ظلت حتى أنزل الله تعالى « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فكان ذلك في الميراث فقط ، ثم جعل المسلمين إخوة في قوله « إنما المؤمنون إخوة » ولما أطمأن رسول الله بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمر الأنصار ، واستحكم أمر الإسلام ، فرضت الصلاة ، والزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وشرع المال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوأوا الدار والإيمان ، فقام شعراؤهم يتغنون بالقصائد يذكرون فيها ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله عليهم ، فنصبت لذلك أحبار اليهود لرسول الله العدا بغيًا وحسدًا وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته ، فكانوا أهل تفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام ، وانخدعوا جنة من القتل ، ونافقوا في السر ، ومن الأحبار حبي بن أخطب ، وأخوه أبو ياسر ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وأبو رافع سلام بن أبي الحقيق ، وسلام بن مشكم ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن سلام ، وكان جدهم وأعلمهم كعب بن أسد ، غير أن عبد الله بن سلام أسلم ، وأحرأه بالاسلام ، وكنتم ذلك

عن اليهود ، ولاذ برسول الله فأواه حتى جاء الأحبار يسألون رسول
معتنين فخرج اليهم ابن سلام وشهد الشهادتين وأعلن اسلامه ولامس
أهل بيته

وكان ممن انضاف الى اليهود مالك بن الأوس ، ونبتل بن الحرث
الذى قال الرسول في شأنه : من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر
الى نبتل بن الحرث ، وهو الذى كان يقول : إن محمدا أذن ، وعبد الله
ابن أبى بن سلول من بني عوف بن الخزرج ، وكان رأس المنافقين واليه
يجتمعون ، وهو الذى قال في غزوة بني المصطلق : لنن رجعا الى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل ، وفي قوله هذا نزلت سورة المنافقين بأسرها
وفي هؤلاء الاحبار من اليهود ، وفي المنافقين من الأوس والخزرج ،
نزل صدر من سورة البقرة الى المائة منها

هذا وبعد سبعة عشر شهرا من مقدمه صلى الله عليه وسلم صرفت
القبلة الى الكعبة ، فثار اليهود ، وقالوا له : ارجع الى قبلتك التى كنت
عليها نتبعك ونصدقك ، وانما يريدون بذلك فتنة عن دينه ، فأنزل
الله القرآن بتسفيهم ، وغازط اليهود ما كان من اجتماع كلمة الأوس
والخزرج بعد تفرقهم ، فدرسوا من ذكركم وهم مجتمعون في بعض أنديتهم
يوم بُعث وما قيل فيه من الشر ، فتنازعوا وتفاخروا حتى خرج اليهم
رسول الله وقد تواعدوا السلاح والحرب ، فذكركم بالله وبالاسلام ،
فدابوا الى رشدكم ، وعللوا أنها نزع من نزعات الشيطان ، وكيد من عدوهم
فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا
مع رسول الله مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم .

ثم دعا رسول الله اليهود الى الاسلام وزغبهم فيه وحذرهم غير الله فأبوا عليه وكفروا بما جاءهم به ، فكف عنهم الى أن نقضوا عهدهم فقاتلهم على ما سيجي .

واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الى المدينة وسيد أهلها عبد الله بن أبي بن سلول لا يختلف عليه في شرفه اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الاسلام غيره ، فكان قومه قد نظموا له الحرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله وهم على ذلك ، فلما انصرف عنه قومه الى الاسلام ضغن ، ورأى أن رسول الله قد استلبه ملكا ، فلما أن رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارهها مصرا على نفاق وضغن ، وكان له مع الرسول شئون الى أن مات منافقا

هذا وكان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول ، وهو يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك بعد أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة ، فأقام بها بقية هذه السنة . والمحرم من السنة التالية ، ثم خرج غازيا في صفر ، أي بعد سنة كاملة من مقدمه .

شرح القتال

تمهيد - كل من يتخلق بخلاق أو ينشأ على عادة يلتزمها التزاما ، أو على دين أو عقيدة خاصة نوارثها الأبناء عن الآباء جيلا بعد جيل ، يصعب عليه أن يتحول عن ذلك كله ، إذ أنه مقتنع بأن ما يتخذه

أو يفتح له من هذا حسن، وأن ما عداه قبيح، ومثل هذا لا تنجح معه وسائل التهذيب إلا بعد عناية كبيرة وقلما يكون هذا إلا بعلاج الحكماء من الربانيين، والجماعات كالفرس، لا تتحول عما ألفت إلا بالوسائل التدريجية المؤسّسة على قواعد التربية وعلم النفس، والشرائع الإلهية مثل أعلى في حضن الناس على ترك ما ألفوا من عادة قبيحة، أو خلق ذميم، أو عقيدة فاسدة، وهذا إلى أحكامها، أنها تحجر وتعظم، وتحلل وتحرم، وتطلق وتقيّد، وإذا كان المبلغون لهذه الشرائع الإلهية هم الأنبياء، فلا غرابة أن يصدّقهم حقلاء قومهم، وبخاصة إذا رأوا المعجزات والآيات البينات، وأن يكذبهم السفهاء عنادا واستكبارا، لأنهم يرون الأنبياء وما جاءوا به حبر عشرة في طريق تنفيذ رغائبهم وسد مطالبهم ومحو لا هادما لما رسخ في نفوسهم، من عقيدة ورثوها، أو بدعة أتخلوها. وكلما كثر حماة الأنبياء والمستجيبون لهم، ازداد سفهاء القوم والخالقون لهم رهبة وبغضا، حتى لقد يعمدون قتلهم وقتل أتباعهم، ومن هنا كان من حق الأنبياء ومن أتبعوهم، الاعتصام بالقوة ودفع الشر بالشر، قياما بنصرة الحق، ومحافظة على منهاج الشرائع التي فيها خير الجمهور، أن يهملها جهل الجاهلين، وعناد المماندين، وكيد الخائنين، ولا يكون منهم ذلك إلا إذا أذن لهم الشارع في استعمال القوة وهذا هو الجهاد أو القتال فشرعية الجهاد في الشرائع حكمة بالغة لم يقصد منها إلا الخير العام وهو حماية الدين وأهله من جهل الجاهلين وسفاهة الظالمين وعدوان الدين (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون) ثم بث منافع الدين ومزالجه في الناس حتى يتبين لهم الرشد

من الغنى - وزمما كان أشد المعارضين للأنبياء وما جاءوا به من الدين القويم ، الملوك ومن على شاكلتهم من أهل الرياسة وذوى السياسة لأنها تقيد ما أطلق من أطماعهم ، فهم الذين يشعرون بثقل الشرائع العادلة ، ويخشون أن تحط من سلطانتهم ، أو تحول بينهم وبين جبروتهم ، ومن أجل ذلك يقومون في وجه صاحب الشريعة معارضين ، ويميل معهم من يميل ، أما رهبة منهم وأما رغبة فيهم ، وبذلك يكون اجرامهم مضاعفا ، اذ لم يقف بهم الامر عند جنائيتهم على أنفسهم بصددها عن سبيل الخير ، بل أجرموا على الناس بمنعهم اياهم عن طريق الرشده المحض .

وبعد فما جزاء المجرم على هذا الوجه ؟ اللهم ان العقل يوجب قتاله والمدل يستدعى قتل من يشايعه ، لانهم يصدون عن سبيل الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس .

والجهاد مشروع في كل دين سماوي ، لان الشريعة قوة ؛ تقف بكل انسان عند حدودها ؛ ولانه في الاصل لا إغلاء لكلمة الحق ودفع شر المؤذنين - والشريعة الاسلامية من الشرائع السموية ، وقد شرع فيها الجهاد كما شرع في ديانه ابراهيم وموسى وداود وسليمان ، وان كان في الاسلام على وجه أخف ، اذ لم يؤمر النبي عليه السلام أن يبيد المخربين وما معهم من حيوان كما في شريعة موسى مثلاً ، على أن للجهاد في الشريعة الاسلامية شروطاً منها دعوة المحارب الذي بلغته الدعوة الى الاسلام أو الجزية ، وان أبى فحورب ثم جنح للإسلام سؤلم .

إذا تمهد بهذا فنقول : ما الذي دعا حمزة الى ردع أبي جهل عن

هذا رسول الله ؟ والجواب أن هذا لم يك من حمزة تأييدا لرسول الله
 في دعوته من طريق أنه يعتقد أنها الحق ، ولكن كان من قبيل التشيع الى
 العصبية ، ولم يختص حمزة بهذا الأمر دون بقية بنى هاشم ، ومن بينهم
 أبو طالب ، ولم يكونوا أهل اسلام عند قيامهم بهذا الأمر ، ولا عند مقاطعة
 قريش بنى هاشم وبنى المطلب وحصرهم في الشعب منفردين ثلاث
 سنين - وأما قول الرسول عليه السلام اللهم أعز الاسلام بأحب
 الرجلين اليك عمر بن الخطاب وأبي الحكم بن هشام فلأنه رأي أنهما
 في قومهما من قريش بحيث يقتدى بهما فيما يصنعان ، ومن أسلم منهما
 يمكنه أن يمنع الرسول من أذي المعارضين ليبلغ دعوته جهر الا على أنه
 يريد أن يستعمل سيفهما في رقاب المشركين حتى يقرؤا بالتوحيد وصدقوا
 بالرسالة ، وهذا الذي حصل بعد اسلام عمر ، فان المسلمين بعد أن
 كانوا يجتمعون خفية في دار الارقم ويصلون الاوقات هناك ، نظاهروا
 بدينهم واصبحوا يعملون في المسجد على كره من المشركين اذ قد حصل
 ان عمر بعد أن أسلم قال يا رسول الله : علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم
 على الباطل ؟ فقال : يا عمر انا قليل وقد رأيت ما لقينا ، فقال عمر :
 والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه
 بالائمان ، ثم خرج رسول الله في صفين من المسلمين حمزة في أحدهما
 وعمر في الآخر حتى دخلا المسجد ذلك لأن عمر كان في منة من قومه
 تخوله دفع الأذى عن النبي ممن يتعمدون أذاه لاذًا جهر بالدعوة ، ولأنه كان
 قدوة صالحة في العرب ، يدل عليها تتابع الناس بعد اسلامه على الدخول
 في الاسلام ، مع أنه لم يستعمل السيف في اسلام أحد قط لا قبل الهجرة

ولا يدها ولا فى غضون خلافته

وبعد فان مشروعية الجهاد فى الاسلام كانت اظروف خاصة- وبيانها
 أن ذلك كان بعد أن أعلن النبي دعوته بين الناس وأخذ الاسلام ينتشر
 فى القبائل ويزداد أهله وبخاصة بعد أن دخل فيه وجوه القوم كحمزة
 وعمر وأبى بكر وعثمان ، فداخل قريشا من جراء ذلك ما داخلهم من
 الحقد والحسد الذي أدى الى معارضة الرسول وتسفيهه والبغى عليه-
 والعدوان على أصحابه بكل الوسائل ، فلما أعجزتهم سبل التثبيط
 وصرف الناس عن استماع كلمة الحق عمدوا الى استعمال العنف، فعذبوا
 من استضعفوا من الذين أسلموا ، وقعدوا للنبي ومن استجاب له كل
 مرصد حتى لم يجد بدا من الأذن لأصحابه بالهجرة الى الحبشة أولا وثانيا ،
 ثم اضطر بعد ذلك هو ومن بقى منهم الى ترك مكة والهجرة الى المدينة-
 ومع ذلك لم يرضوا عنه ، بل زاد حقهم عليه إذ علموا أن الانصار مانعوه
 بلا شك من كل من يريد به سوءا ولا سبيل لهم بعد ماتم من البيعة أن
 يضاروه الا بجمع القبائل على حربه ، وإثارة العرب عليه حتى لا يغلبهم
 على أمرهم ، ويسلبهم ما كان فى يدهم من سلطة باعتبار أنهم سكان
 الحرم وسدنة البيت المحجوج ، نعم لم يدعوا وسيلة من وسائل إثارة
 الحواطر عليه إلا توسلوا بها وانضم اليهم يهود قريظة والنضير- فلما اشتد
 أمر العرب عامة عليه ، وأمر قريش خاصة ، أذن الله له فى الجهاد، جهاد
 من بغى عليه وظلمه وتجاوز الحد فى أصحابه وقسى عليهم، لا لا كراه
 القوم على اعتناق الاسلام بل بقصد حفظ هذه الجماعة المسلمة التي هي
 بمثابة نواة صالحة نجب المحافظة عليها لنشر هذا الدين القويم تدريجا -

أما الذين لم يتعمدوا النكابة بالمسلمين ولم يؤذوهم ، فقد أذن للمسلمين أن يبروهم ويقسطوا اليهم وإن كانوا غير مسلمين ، ولم يدخلهم مع المشركين الذين شرع الجهاد من أجلهم لرد بغيهم عن المسلمين فقط . لا لإكراههم على اعتناق الاسلام

هذا وآيات الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه شاهدة بما بيننا ، إذ أن رسول الله لم يؤذن له في الحرب ، ولم تحلل له الدماء قبل بيعة العقبة وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوسهم من بلادهم ، فكانوا بين مفتون في دينه ، وبين معذب في أيديهم ، وبين هارب في البلاد فرارا منهم بأرض الحبشة أو بالمدينة أو بجهات أخرى ، فلما عنت قريش على الله ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه ، وعذبوا ونفوا من عبد الله ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه ، أذن الله لرسوله في القتال والامتناع والاتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم والاعتداء عليهم بمثل ما اعتدوا عليه من مصادرة وتضييق سبيل الرزق أو قطعها عنهم . فكانت أول آية نزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء وقتال من طغى عليهم واعتدى ، قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله » الى آخر هذه الايات ، ثم نزلت الآية الأخرى وهي « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه « ويكون الدين كله الله » أي حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره . ومن هذه الايات قوله تعالى « فقاتل في سبيل الله لا تكاف الا نفسك ، وحرص المؤمنين عسى الله أن يكف

بأس الذين كفروا» ومن الآيات التي نزلت في غير من وجب قتاله قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبوؤهم وتسوطوا اليهم ان الله يحب المقسطين- انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » وقوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلوكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »

والنتيجة أن الجهاد مشروع ، وأنه كان لرد الباغين على الاسلام وأهله لا لإكراه الناس على اعتناقه - أما كيفية دعوة رسول الله الناس الى اعتناق الاسلام فتتضح من قوله تعالى « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » ومن ذلك قوله تعالى « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وقوله « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم »

واعلم أن بعض الملحدين يزعم أن الاسلام قام بالسيف ، ويخلط بين الجهاد وسببه وبين الدعوة الى الدين - ولو كان السيف ينصر ديننا لاذن رسول الله الى الانصار يوم العقبة الثانية بقتال المشركين والانصار يومئذ أقوى عليهم وأقدر وأعز نفرا ، ولما تخلف بعد فتح مكة عن محاربة من كانوا أشد الناس عداوة له وأعظمهم خطرا على المسلمين ، الى ارسال الدعاة الى القبائل حول مكة يدعون الناس الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد كان معه جيشه الذي فتح به مكة

غزوات النبي وسراياه

لما أذن الله لرسوله في القتال شرع يستعد لمصادرة أموال قريش وتجارها التي كانت لا تقطع مع الشام ، وينتهبها كما انتهبت قريش أموال أصحابه ، لتكون واحدة بواحدة (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)

واعلم أن الغزوة هي ما يخرج فيها رسول الله مع الناس ، وأن السرية هي إحدى البعث التي كان يبعثها ولا يرافقها .
وسنة تقرر على أهم ما كان من الغزوات والسرايا في رأيها

سرية حمزة

بعث رسول الله على رأس سبعة أشهر من الهجرة عمه حمزة إلى سيف البحر في ثلاثين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد فلقى أبا جهل في ثلثمائة رجل من أهل مكة ، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان موادعا للفريقين فلم يحصل قتال ، وكان ما صنعته الجهني من الحكم للبون الشاسع بين الفريقين في العدد

سرية عبد الله بن جحش

بعث رسول الله سنة اثنتين عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكة والطائف . فيرصد قريشا ويعلم أخبارهم فسار وهناك مرت غير لقريش تحمل زبيبا ، وفيها عمرو بن الحضرمي فقاتلوه فقتل عمرو وأسر رجلان ، وغنم المسلمون العير فكانت أول

غزوة بدر الكبرى

كانت هذه الوقعة في السابع عشر من رمضان ، وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمي ، واقبال أبي سفيان في غير لقريش عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ، ومعها من ثلاثين الى سبعين رجلا من قريش ، منهم مخزومة بن نوفل الزهري وعمرو بن العاص - فلما سمع بهم رسول الله نذب المسلمين اليهم ، وقال هذه غير قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله ينفلحكموها

وكان أبو سفيان يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من أمر الناس حتى أصاب أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولغيرك فحذر واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم الى أموالهم فأسرع ضمضم ونادى بامعشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث ، فتجهز الناس وقالوا أبطن محمد وأصحابه أن تكون كغير ابن الحضرمي ، كلا والله ليعلمن غير ذلك ؟ فكانوا بين رجلين : إما خارج وإما بائث مكانه رجلا ، ولم يتخلف من أشرفهم أحد الا أبو لهب وبعث مكانه العاصي بن هشام في نظير دين كان له على العاصي

أول نماذج لهم : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا المسير ، ذكروا ماكان بينهم وبين بني بكر بن عبيد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا لانا نخشى أن يأتونا من خلفنا وخافوهم حتى كاد ذلك يثنيهم ، فتبدي

لهم سراقه بن مالك وكان من أشرف كنانة فقال لهم : أنا لكم جار من أن تأنيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سرراعا

وخرج رسول الله في أصحابه ، ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة - وكانت راية الانصار مع سعد بن معاذ ، فلما كان قريبا من الصفراء بعث رجلا الى بدر يتجسس ان له الأخبار عن أبي سفيان ، فسمعا من هنالك أن العير تأتي غدا أو بعد غد ، ولم يكن عند رسول الله والمسلمين علم بمسير قريش لمنع عيرهم ثم بعث عليا والزبير وسعدا يلتمسون له الخبر بيدرفأصابوا راية لقريش فيها غلامان فأتوا بها النبي وهو قائم يصلي فسألوهما فقالوا نحن سقاة قريش فضربوهما ليخبروهما عن أبي سفيان حتى قالان نحن لأبي سفيان فتركوهما وفرغ النبي من صلاته وقال اذا صدقكم ضربتموهما واذا كذباكم تركتموهما ، صدقانهما لقريش ، أخبراني أين قريش ؟ قالوا : هم وراء الكعيب الذي ترى بالمدوة القصوى ، فقال كم القوم ؟ قالوا كثير ، قال كم عدتهم ؟ قالوا لا ندري . قال كم ينحرون ؟ قالوا يوما تسعا ويوما عشرا ، فقال : إن القوم بين التسعمائة الى الألف ، ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وذكروا نفرا غيرهما ، فأقبل رسول الله على أصحابه وقال : هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها ، فقال أبو بكر فأحسن ثم قال عمر فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله إمض لما أمرك الله فنحن معك ... فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد (وهي على ساحل اليمن جنوبا) لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه ، فدعا له بخير ، ثم قال رسول الله أشيروا علي أيها

الناس وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وخاف ألا تكون
الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة، وليس عليهم أن يسير
بهم، فقال سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال أجل، قال
قد آمننا بك وصدقناك وأعطيناك عهدنا، فامض يا رسول الله إلى ما أمرت
به، فوالذي بعثك بالحق، إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته، لخوضناه
معدك، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غدا، أنا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك، فسر الرسول
بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال: أبشروا فإن الله قد وعدني إحدى
الطائفتين، والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم، ثم انحط على بدر
فنزل قريبا منها

وكان أبو سفيان قد ساحل وترك بدرا يسارا ثم أسرع فنجأ -
وسبب ذلك أنه تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدي بن عمرو
هل أحسست أحدا، قال مارأيت أحدا أنكره إلا أني قد رأيت راكبين
قد أناخا إلى هذا التل ثم استقيا وانطلقا، فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ
من أباريعيريهما، ففته فاذا فيه الزوى، فقال والله هذه علائق يثرب،
فورجع إلى أصحابه سريعا فضرب وجه غيره عن الطريق وترك بدرا
يسارا وانطلق واقتبل قريش فنزلت بالجحفة

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره أرسل إلى قريش: انكم إنما
خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا -
فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا (وكان بدر موسم من مواسم
المعرب يجتمع لهم بها سوق كل عام) فتقيم عليه ثلاثا، فتنجر الجزور،

ولطعم الطعام ؛ ونسقي الخمر ، ونعزف علينا القيان وتسمع العرب بنا
وبمسيرنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا

فقال الاخنس الثقفي وكان حليفا لبني زهرة : يا بني زهرة ، قد نجى
اللهكم أموالكم وخاص لکم صاحبکم مخزومة بن نوفل ، وإنما نفرتم
لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بى جنبها وارجموا - فرجموا فلم يشهدا زهرى
ولا عدوى ، وشهدا سائر بطون قريش

وكان بين طالب بن أبى طالب وهو في القوم ، وبين بعض قريش
محلورة فقالوا له : والله قد عرفنا ان هو اكم مع محمد ، وكان فيمن أخرج كرها
فرجع الى مكة فيمن رجع

وبعد ، فهل رأيت اختلاف كلمتهم وتخاذلهم مرة ثانية ؟
ومضت قريش حتى نزلت المدوة القصوي من الوادي والقلب
بيد في المدوة الدنيا ، وأرسل الله السماء وكان الوادي دهسا (سهلا
ليس برمل ولا تراب) فأصاب رسول الله وأصحابه ماء لبدلهم الارض
ولم يمنهم عن السير ، وأصاب قريشا منها ما لم يقدرُوا على أن يرحلوا معه
وخرج رسول الله يبادرهم الى الماء حتى اذا جاء أدنى ماء من بئر
نزله ، فقال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله أهذا منزل أنزلك الله
ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟
قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، قال : يا رسول الله فان هذا
ليس لك بمنزل ، فلمض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ،
ثم نفور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا ونملأه ، ثم نقاتل
القوم فنشرب ولا يشربون . ففعل رسول الله ذلك ، فلما نزل جلاء

سعد بن معاذ ، فقال يا رسول الله : نبني لك عريشا من جريد غفكون فيه ونترك عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فبنوا له عريشا وأقبلت قريش من الكئيب الى الوادي بخيلائها وفخرها ، فقال النبي : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسلك ، اللهم فصررك الذي وعدتني اللهم اخبرهم الغداة (أي لآلئهم الحين) فلما نزلت قريش أقبل جماعة منهم يستقون من حوض الرسول فنهى رسول الله أصحابه أن يتعرضوا اليهم ثم بعث قريش عمرو بن وهب ليحذر المسلمين (يعرف عددهم) فعاد وقال هم ثلثمائة يزيدون قليلا أو بنقصون قليلا ولقد رأيت البلاء (النوق) تحمل المنايا ، نواضح يشرب تحمل الموت الناقع . . . الى أن قال فرأوا رأيكم - فنهى حكيم ابن حزام الى عتبة بن ربيعة ورغب اليه أن يرجع بالناس ويحمل دم حليفه عمرو بن الحضرمي فرضى عتبه ، ولكنه قال له : فأت ابن الحنظلية يعني أبا جهل فلا أخشى أن يفسد أمر الناس غيره ، وقام عتبة في الناس فقال : إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيئا - فهل خذلهم ؟ أما حكيم فذهب الى أبي جهل وبلغه ما دار بينه وبين عتبة ، فقال انتخ والله سحره حين رأى محمدا وأصحابه ، والله لا أرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ولكنه رأى ابنه أبا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه - ثم بعث الى عامر بن الحضرمي فقال له : هذا حيفك يريد أن يرجع الى مكة بالناس وقد رأيت ثأر أبيك ، فانشد خفرتك ومقتل أخيك ، فقام عامر وصرخ واعمره واعمره فحميت الحرب واستوثق الناس على الشر

وخرج الاسود بن عبد الاسد المخزومي وكان سميء الخلق فقال:
أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لاموتن دونه ، فخرج
اليه حمزة فأطن قدمه (أطارها)

وتحمس عتبة من قول أبي جهل ، وخرج مع أخيه شيبه والوليد
ابن عتبة ، ودعوا الى المبارزة ، فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فلما
عرفوا أنهم من الانصار قالوا اكفاء كرام وما لنا بكم من حاجة ، ليخرج
الينا اكفاءونا من قومنا فقال النبي قم يا حمزة ، قم يا عبيدة ، قم يا علي ، فقاموا
ودنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب عتبة ،
وبارز حمزة شيبه ، وبارز علي الوليد ، فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله ،
وكذلك صنع علي بالوليد ، وأما عبيدة وعتبة فاختلفا ضربتين كلاهما
قد أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي فقتلا عتبة ، واحتملا عبيدة الى
أصحابه وقد قطعت رجله ، فمات شهيدا

ثم تراحف القوم ودنا بعضهم من بعض - وأمر الرسول أصحابه
ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال إن اكتنفكم القوم فانضحوهم (ارموهم)
عنكم بالنبل ، ونزل في العريش ومعه أبو بكر وهو يسأل الله النصره ويقول
اللهم أنجز لي ما وعدتني ، ثم أغفى اغفائة وانتبه فقال : يا أبا بكر أنك
نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناباه النقع ،
وخرج الرسول وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وحرض المسلمين
فجدوا واقتتل الناس قتالا شديدا فكانت الهزيمة على قريش وقتل الله
من المشركين من قتل وأسر من أسر - - ومر بأبي جهل معوذ بن عفراء
فضربه حتى أثبتته وبه رمق ، ثم مر به عبد الله بن مسعود (وقد أحمى

رسول الله أن يلتمس في القتلى) فوجده بأخر رمق فوضع رجله على عنقه وقال له : هل أخزالك الله يا عدو الله ؟ فقال وبم أخزاني ؟ أأعمد من رجل قتلتموه ؟ (يريد هل هنالك أعلى من رجل قتلته قومه) أخبرني لمن الدائرة ، فقال لله ولرسوله ، فقال أبو جهل : لقد ارتقيت يارومي الغنم مرتقى صعبا ، فقال له اني قاتلك ، قال ما أنت بأول عبد قتل سيده ، أما إن أشد شيء لقيته اليوم ، قتلك إياي ، ألا قتلتني رجل من المطيبين الأحلاف ، فضربه ابن مسعود فوق رأسه بين رجليه فحمله الى النبي فسجد شكرا لله تعالى

ورأي بلال أمية بن خلف وكان يعذبه بمكة فقال : أمية رأس الكفر ، لأمحوت إن نجا ، ثم صرخ يا أنصار الله ، رأس الكفر رأس الكفر أمية فقتله المسلمون وابنه عليا وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسرها ولما انهزم المشركون أمر النبي ألا يقتل أبو البختري بن هشام لأنه كان أخف القوم عليه وهو بمكة وكان ممن اهتم في نقض الصحيفة ، فلقبه أحد حلفاء الانصار ومعه زميل له فقال له : نهى رسول الله عن قتلك ، قال وزميلي ؟ فقال لا قال اذا والله لأموتن أنا وهو ولا تتحدث نساء قريش اني تركت زميلي حرصا على الحياة فقتلها وأخبر النبي خبرها .

وجيء بالعباس وكان جسيما أسره أبو اليسر وكان مجموعا (صغير الجثمان) فقال الرسول قد أعانك عليه ملك كريم - ولما أمسى العباس مأسورا بات رسول الله ساهرا أول ليلة من أجله . فلما علم القوم أطلقوه - وكان النبي قد نهام عن رجال من بني هاشم وقال أخرجوا كرها - ونم

أبو حذيفة بقتل العباس وقال : أنقتل أبناءنا وآباءنا وأخواننا ونترك
العباس ؟ والله لئن لقيتنه لألحقنه بالسيف ، وبلغ الخبر النبي فقال لعمر أما
تسمع قول أبي حذيفة ، أبضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ فرجع
عما عزم عليه

ثم أمر رسول الله بالقتلى فطرحوا في القليب ، ثم وقف عليهم وقال
يا أهل القليب ، بذس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتُموني وصدقني
الناس ثم نادى عتبة وشيبة وأمّية وأباجهمل وقال لهم مثل ذلك فرأى
في وجه حذيفة بن عتبة الكراهية فقال له لعلك قد دخلك من شأن
أيك شيء قال لا والله يارسول الله ما شككت في أبي وفي مصرعه ،
ولكنه كان له عقل وحلم وفضل فكنت أرجو له الاسلام فلما رأيت
مامات عليه من الكفر أحزنتني ذلك .

ثم أمر النبي فجمع ما في المسكر ، فاختلف عليها المسلمون فنزعها
الله من أيديهم وجعلها لرسوله فقسمها بينهم على السواء . ثم بعث
عبد الله بن رواحة إلى أهل العالية ، وزيد بن حارثة بشيرا إلى أهل
السافلة من المدينة ، فوصل زيد وقد سواوا التراب على رقية بنت الرسول
وزوج عثمان .

وبعد فما بال هذه الفئة القليلة ، تغلب جحافل المشركين ، والجواب
سهل يصح التماسه مما مضى وهو (بعد أن تقدم من الاسباب ما كان من
معوونة الله لنبيه بالملائكة ، وتثبيت قلوب المسلمين ، والقائه الرعب في
قلوب المشركين لانهم شاقوا الله ورسوله) (١) ان المسلمين مع قلتهم قد
اتفقت كلمتهم ، والمشركون على كثرتهم كانوا كثيرا ما يختلفون (٢) ان

رسول الله حينما علم أن قريشا جاءت رأي أن الأمر ليس أمر أبي سفيان
والعير ، بل مسألة هجوم قريش ، فاحتاط واختبر أصحابه من المهاجرين
والانصار حتى استوثق أنهم لن يفروا من الميدان (٣) ما كان من التدبير
والشوري في تخير المنازل ورسم الخطط (٤) ما كان من جودة الموضع
الذي عسكروا عنده وزحفوا الى أعدائهم منه وملكوا عليهم الماء فيه . هذا
ما كان من جانب النبي وصحبه - وأما ما كان من جانب قريش فلأنخاذ
المستمر - فمن تخوفهم عند خروجهم من بني بكر ، الى ما كان من تخذيل
أبي سفيان إياهم وقد نجت العير ، الى ما حصل من انصراف بني زهرة
وغيرهم الى مكة ، الى ما كان من رغبة عتبة في الانصراف وتخليبه القوم
لولا ما كان من أبي جهل - وأخيرا ما كان من رداءة الموقع الذي كانوا
فيه وعدم وجود الماء به

وكان من نتائج انتصار المسلمين

(١) طمع المسلمين بها كانوا قليلين ، في المشركين . بها كثروا اعتمادا
على الله الذي يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون
(٢) ان المشركين رجعوا وقد ملئوا غيظا وحقدا ، فأخذوا يعدون
العدة ، ويستفزون حلفاءهم من كل جانب وظلوا على ذلك سنة كاملة الى
أن تمكنوا فوافوا المسلمين بأحد كما سيجيء

هذا ومما يذكر من رعب قريش وهم في ساحة القتال ما أحدث به
فلما هم حين قدم مكة الى أبي لهب اذ قال لابي سفيان المغيرة بن الحارث
ابن عبد المطلب : هلم الى فعندك لعمري الخبر ! اخبرني كيف كان أمر

الناس قال: والله ما هو إلا أن لقيناه القوم فنهجنهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لت الناس، إقينا أرجال بيض على خيل بلق، بين السماء والارض والله ما تليق (تبقى) شيئا ولا يقوم لها شيء فقال أبو رافع مولى رسول الله وكان مولى للعباس وأسلم سرا: تلك والله الملائكة، فرفع أبو لهب يده فضربه على وجهه وبرك عليه بضربه فقامت لبابة الكبرى زوج العباس الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربت به ضربة فلعت في رأسه شجرة منكرة وقالت: أستضعفة ان غاب عنه سيده؟ فقام موليا ذليلا وما عاش بعدها الا سبع ليالى ومات بمرض خبيث معد فبقى ثلاثا لا يدفن حتى خاف بنوه السبة فدفعوه بعود في حفرة وقذفوا بالحجارة من بعيد حتى واروه

والغرض من سرد هذه القصة حكاية أبي سفيان بن الحرث، هذا وقد شهد بدرا من المسلمين ٣١٤ - ٨٣ من المهاجرين، ٦١ من الأوس ١٧٠ من الخزرج، استشهد منهم ١٤ - ٦ من المهاجرين، ٨ من الأنصار وقتل من المشركين ٧٠ وأسر ٧٠

معاملة أسرى بدر

قسم النبي أسرى بدر على الناس وهو في الطريق الى المدينة عن بوا ثم قدم المدينة قبل الأسرى بيوم - ولما فرقهم قال للصحابه استوصوا بهم خيرا، وطلب عمر بن الخطاب أن يتزع ثنيتي سهيل بن عمرو، ويدلع لسانه، حتى لا يقوم على النبي خطيبا في موضع ابداء، فقال عليه السلام لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا، ويروى أنه قال لعمر: عسى أن

يقوم مقاماً لاتذمه ، فكان الوسيط الموفق بين الرسول وقريش يوم
الحديبية على ما ستعلم

أما قريش فقالت في شأن أسراها : لاتعجلوا بفداء أسرائكم
لا يارب عليكم محمد وأصحابه (يشدد) غير ان منهم من خالف سراوانسل
ليلاً كالمطلب ابن أبي وادعة السهمى الذى افتدى أباه بأربعة آلاف درهم
وانطلق به فتابعته قريش في افتداء الاسرى

وطلبت زينب بنت رسول الله أن تفتدى أبى العاص زوجها بقلادتها،
فلما رآها رسول الله رقق لها ، وقال ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا
عليها مالها فافعلوا ففعلوا ، وأخذ عليه رسول الله عهداً أن يخلى سبيل
زينب اليه لأن أبى العاص ثبت على شركه وآمنت زينب بأبيها ، وكان
الرسول بمكة ، لا يحل ولا يحرم ، مغلوباً على أمره ، وكان الاسلام قد
فرق بين زينب وأبى العاص وكان الرسول لا يستطيع أن يفرق بينهما ،
فأقامت معه على اسلامها ، وأقام على شركه الى أن أسر في بدر فكان
منها في شأنه ما رأيته ، فلما قدم أبو العاص مكة حراً طليقاً أمر زينب
باللحوق بأبيها فشرعت تتجهز فلما خرجت اعترضتها قريش وردتها
ثم خرجت فلاحقت بأبيها

أما أبو العاص فانه بعد قليل خرج من مكة الى الشام بأموال قريش
وكان مأموناً فلما أقبل بها لقيته سرية لرسول الله فأصابته مامعه وأعجزها
هارباً ، فلما أقبل الليل دخل المدينة على زينب واستجار بها ، فأجارته
الى الصبح فلما خرج رسول الله الى الصلاة صاحته لاني قد أجرت
أبى العاص فسمعها رسول الله ، ولما عاد قال لها: أى بني، أكرمى مثواه

ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له ، وبعث الى السرية يخبرها بين رد ماله
أو يكون لها فيثا ، فردوه الى أبي العاص برمته ، وأطلق فرجع بالمال
الى مكة ، وأداه الى أصحابه ، فلما فرغ قال : يا معشر قريش ، هل بقي
لأحد منكم عندي مال لم يأخذه ؟ قالوا لا فيجزاك الله خيرا ، قال فإني
أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله ، والله ما منعتني عن الاسلام
عنده الا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم فلما أدناها
الله اليكم وفرغت منها أسلمت ، ثم خرج حتى قدم على رسول الله فرد
عليه زينب على النكاح الأول .

ومن أسرى قريش من مَن عليه بغير فداء كآبي العاص هذا
وأبي عزة الجمحي وكان محتاجا ذا بنات ، فمنَّ عليه رسول الله على ألا يظاهر
عليه أحدا

وقد اتفق صفوان بن أمية وعمير بن وهب الجمحي بعد مصاب
أهل بدر على أن يقوم ثانيهما بقتل رسول الله وكان من شياطين قريش ،
ومن يؤذون النبي وأصحابه ، وكان ابنه في أسرى بدر ، فشحن سيفه
وانطلق فلقى عمر بن الخطاب ، فقال لأصحابه : هذا المكاب عدو الله
ما جاء الا بشر ، ودخل على النبي فأخبره به ، وأنه جاء متوشحا سيفه ،
قال : فأدخله على ، فأقبل عمر حتى أخذ بجمالة سيفه فلبيه بها ، ودخل
على النبي بهذه الصورة ، فقال أرسله يا عمر ، أدن يا عمير ، فسأله ما جاء
بك : ؟ قال جئت لهذا الأسير في أيديكم ، فاحسنوا فيه ، قال فما بال
السيف في عنقك ؟ قال قبضها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئا ؟
ثم قال له النبي أصدقني ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت الا لذلك ،

فقال بل قدمت أنت وصفوان بن أمية في الحजर فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، فلما أخبره بما دار بينهما من شر ، هداه الله الى الاسلام وشهد شهادة الحق ، فقال : النبي فقهوا أخاكم وأقرئوه القرآن وأطلقوا اليه أسيره ففعلوا وسأل عمير رسول الله أن يعود الى مكة داعيا لعل الله يهديهم والا آذام كما كان يؤذى رسول الله وأصحابه ، فأذن له ، فقدم مكة وأسلم على يديه ناس كثير - أما صفوان بن أمية فحلف لا يكلمه أبدا ولا ينفعه بنفع أبدا وظل على شركه حتى شفع فيه عمير ابن وهب عند رسول الله بعد أن أراق دمه يوم فتح مكة

والغرض من ذكر هذه القصص أن تعلم أن أسرى بدر عوملوا معاملة حسنة من كل وجه ، فمنهم من افتدى نفسه أو افتداه أهله بالمال فلم يمتنع الصحابة من قبول الفدية ، ومنهم من منوا عليه بغير فداء ومنهم من بقى فكان الرجل من المسلمين يؤثره بطعامه

وقد فدى العباس نفسه وابنى اخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحرث بن عبد المطلب ، وحليفة عتبة بن عمر ، أمره رسول الله بذلك فقال لا مال لي ، فقال له النبي أين المال الذي وضعت عند أم الفضل ، وقلت لها ان أصبت فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا ؟ قال والذي بعثك بالحق ما علم به أحد غيري وغيرها وانى لأعلم أنك رسول الله

وكان في الأسرى عمرو بن أبي سفيان أسره على ، فقيل لاييه أؤد عمرا ، فقال لا اجمع على دمي ومالي ، يقتل ابني حنظلة ، وافدى عمرا وتركه ولم يفكه حتى تعرض أبو سفيان لسعد بن النعمان الانصاري وقد

خرج الى مكة معتمرا (وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر)
فاخذته فحبسه فمضى بنو عمرو بن عوف الى النبي وطلبوا منه عمرا
فقادوا به سعدا

خبر بني قينقاع

كان من حديث بني قينقاع أن النبي حين قدم المدينة من بدر جمع
اليهود بسوق بني قينقاع ثم قال يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله
بمثل ما أصاب به قريشا من النعمة، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل،
تجدون ذلك في كتبكم وعهد الله اليكم، فقالوا يا محمد لا يغرنك من
نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال، أنك
والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا

وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين النبي وحاربوا
فيما بين بدر وأحد - ثم كان من أمرهم أن امرأة من العرب قدمت
بجلب لها فباعته بسوقهم، وجلست الى صائغ بها، فجعلوا يريدونها
على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعهده الى
ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت فوشب
رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا، فشدت اليهود
على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب
المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، فحاصرهم رسول الله
خمس عشر ليلة حتى نزلوا على حكمه، فقام اليه عبد الله بن أبي
أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد أحسن في موالى، وكانوا حلفاء

الخزرج ، فأبطأ عليه رسول الله ، فادخل يده في جيب درع الرسول فقال له أرسلني وغضب حتى رأوا لوجهه ظملا ، فقال لا والله لأرسلك حتى تحسن في موالى ، اربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوا من الاحمر والاسود تحصدتم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، . فقال رسول الله هم لك

وكان شأن عبد الله بن أبى في هذا الموضوع يخالف ما كان من عبادة بن الصامت ، وكان للقوم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله ولكنه خلعهم الى رسول الله وتبرأ الى الله ورسوله من حلفهم

ويذكرون من الأسباب التي حملت الرسول على حربهم أيضا أو على البدء بهم أنهم كانوا من موالى الخزرج وكانت أغلب بطون الخزرج أسلمت ماعدا بطن عبد الله بن أبى ، فقد كان يظهر الايمان ويبطن الكفر ، وهؤلاء حلفاؤه وهم أهل الاموال الوفيرة ، وبقيمون في حي واحد من الاحياء العربية ، فأراد الرسول ان يظهر هذا الحي من جميع من يخالفون دينه ، وتربص الفرصة المناسبة حتى حانت ، وقتلهم وانتصر عليهم وأجلاهم عن المدينة وأمر بجمع أموالهم وأسلحتهم ، ثم قسمها على الأنصار بعد ان حجز منهم الخمس ، وابقى لهم زرارهم ونساءهم وأمهاتهم ثلاثة أيام ، فرحلوا الى وادي القرى ومنها الى أذرع بالشام — وكان أجلاؤهم سببا في ازلال اليهود فامتنعوا عن المجادلات الدينية ، وهابت القبائل العربية التي لم تدخل في الاسلام مع رسول الله فانسع امامه المجال لنشر دعوته

مقتل كعب بن الأشرف

كان من حديث هذا الرجل أنه لما أصيب أصحاب بدر وجاء بشير رسول الله إلى أهل العالية والسافلة بفتح الله وقتل من قتل من المشركين قال كعب وهو من طيء وأمه من بني النضير : أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرحلان ؟ فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء ، لبطن الأرض خير من ظهرها ، فلما نيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة على المطلب السهمي وعنده عائكة بنت أبي العيص بن أمية ، فأزلته وأكرمتها ، وجعل يحرض على رسول الله وينشد الأشعار ويبكي أصحاب القليب من قريش الذين أسيبوا ببدر ، ثم رجع إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، ومنهن أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب قال فيها

أراحل أنت لم ترحل لمنعجة وتارك أنت أم الفضل بالحرم

فقال رسول الله من لي بابن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقله قال فافعل إن قدرت على ذلك ، فأقام ثلاثاً ثم رجع إلى النبي فقال إنه لا بد لنا أن نقول ، قال قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك ، فاجتمع في قتله مع بن مسلمة أبو نائلة وكان أخا كعب من الرضاع وثلاثة آخرون ، ثم قدموا قبل أن يأتوه أبا نائلة فنحبت معه ساعة وتناشدوا شعرا ، ثم قال له ويحك يا ابن الأشرف اني قد جئت لك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكم عني ! قال أفعل ، قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادت بنا به العرب وورمتنا

عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل ... فقال كعب : أنا ابن الأشرف
أَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخْبِرُكَ يَا بَنِي سَلَامَةَ أَنْ الْأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا أَقُولُ ،
فَقَالَ لَهُ أَنِي قَدْ أُرِدْتُ أَنْ تَبِيعَنَا طَعَامَكَ وَزَهْنَكَ وَنَوَاقِثَ لَكَ وَنَحْسَنَ
فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ أَتُرْهِنُونِي أَبْنَاءَكُمْ ؟ قَالَ لَقَدْ أُرِدْتُ أَنْ تَفْضَحْنَا ، إِنْ مَعِيَ
أَصْحَابِي عَلَى مِثْلِ رَأْيِي ، وَقَدْ أُرِدْتُ أَنْ آتِيكَ بِهِمْ فَتَبِيعَهُمْ وَنَوَاقِثَ لَكَ
وَنَحْسَنَ فِي ذَلِكَ وَزَهْنَكَ مِنَ الْحَلَقَةِ مَا فِيهِ وَفَاءً ، أَرَادَ أَبُو نَائِلَةَ الْإِنْكَارَ
السَّلَاحَ إِذَا جَاءُوا بِهَا قَالَ : إِنْ فِي الْحَلَقَةِ لَوْفَاءً ، فَرَجَعَ أَبُو نَائِلَةَ إِلَى
أَصْحَابِهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا السَّلَاحَ ثُمَّ يَنْطَلِقُوا فَيَجْتَمِعُوا إِلَيْهِ فَاجْتَمَعُوا
عِنْدَ النَّبِيِّ ، ثُمَّ مَضُوا فَمَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْبَقِيعِ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ
انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ أَعْنِهِمْ وَرَجِعْ ، أَمَّا الْجُمُعَةُ فَانْهَمُوا انْتَهَمُوا إِلَى
حَصْنِ كَعْبٍ فَهَتَفَ بِهِ أَبُو نَائِلَةَ وَكَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعَرْسٍ ، فَوَثَبَ وَعَلِيهِ
مَلْحَقَتُهُ فَأَخَذَتْ أَمْرًا تَبْنَاهُ حَيْثُهَا ، وَقَالَتْ إِنَّكَ أَمْرٌ مُحَارَبٌ ، وَإِنْ أَصْحَابُ
الْحَرْبِ لَا يَنْزِلُونَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ، قَالَ إِنْ أَبُو نَائِلَةَ لَوْ وَجَدَنِي نَائِمًا
مَا أَقْطَعَنِي ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنْ لَأَعْرِفَ الشَّرَّ فِي صَوْتِهِ ... فَزِلَ فَتَحَدَّثَ
مَعَهُمْ سَاعَةً وَتَحَدَّثُوا مَعَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَبُو نَائِلَةَ هَلْ لَكَ يَا بَنِي الْأَشْرَفِ أَنْ
تَمَاشِي إِلَى شَعْبٍ كَذَا فَتَتَحَدَّثَ بِهِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ ؟ قَالَ : إِنْ شِئْتُمْ ،
فَخَرَجُوا يَتَمَاشُونَ فَشَامَ أَبُو نَائِلَةَ يَدَهُ فِي فُودِ رَأْسِهِ ثُمَّ شَمَّ يَدَهُ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ
كَالَلَيْلَةِ طَيِّبًا أَعْطَرَ قَطْ ، ثُمَّ مَشَى سَاعَةً وَعَادَ لِمِثْلِهَا حَتَّى أَطْمَأَنَّ ثُمَّ عَادَ لِمِثْلِهَا
فَأَخَذَ بِفُودِ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ : اضْرِبُوا عَدُوَّ اللَّهِ فَضْرَبُوهُ ، فَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ
أَسْيَافُهُمْ فَلَمْ تَعْنِ شَيْئًا ، فَطَعَنَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِمَقْوَلٍ فِي لَبَتِهِ فَصَاحَ صَيْحَةً
لَأَوْقَدْتُ مِنْ أَجْلِهَا حِصُونَ الْيَهُودِ فَوَقَعَ عَدُوَّ اللَّهِ ، وَأَصَابَ أَحَدَ الْجُمُعَةِ

سيفة فلم يجار اخوانه في الفرار ، فوقفوا له ساعة ثم احتملوه فجاءوا به رسول الله آخر الليل وهو قائم يصلي فخرج اليهم بعد أن سلم ، فأخبروه بقتل عدو الله ، ورجعوا الى أهلهم ، ثم أصبحوا وقد خاف اليهود ، فما كان بالمدينة يهودى الا وهو يخاف على نفسه - وكان قتل كعب بمثابة اعلان الحرب على بنى النضير لأنه من زعمائهم وقال رسول الله : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود الخزرجى على ابن سبيئة وهو من تجار اليهود كان يلبسهم ويباعهم فقتله ، فكان قتل محيصة إياه سببا فى اسلام أخيه حويصة بن مسعود

غزوة السويق

كان أبو سفيان حين رجع الى مكة ورجع فل قريش من بدر، نذر ألا يمس رأسه ماءً من جنبه حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه فسلط النجدية (الطريق الشرقى) حتى نزل ناحية على بريد من المدينة ، ثم خرج من الليل حنى أتى بنى النضير ، فأتى حنظل بن أخطب فلم يفتح له بابه وخافه ، فانصرف الى سلام بن مشكم وكان سيد بنى النضير فى زمانه فقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث منهم رجلا الى العريض من المدينة فحرقوا من نخيلها ووجدوا بها رجلا من الانصار وحليفاه فى حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين

ونذر بهم الناس ، فخرج النبي فى طلبهم فلم يدركهم وانصرف راجعا وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طار - وهانى الحرث يتخفون

منها للنخاة ، وكان أكثرها من السويق ، فمن أجل ذلك سميت الغررة بهذا الاسم

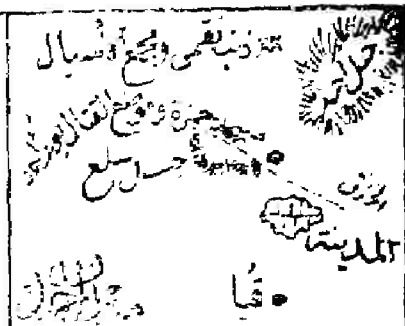
غزوة أحد

كان من حديث أحد أنه لما أُصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب ورجع قلوبهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى رجال من قريش ممن أُصيب آبؤهم وأخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان ، ومن كانت له في تلك العير تجارة ، فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد وثركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربته ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا

واجتمعت قريش لحرب رسول الله بالخبيشها ، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، وخرج معهم أبو عزة وهو ممن من رسول الله عليهم من أسرى بدر لفقره وكثرة عياله ، فخرج في تهامة يدعو بني كنانة ، ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً يقال له وحشى يتدفع بحربة له قذف الحبشة فلما يخطئ بها ، فقال : أخرج مع الناس فإن قتلت حمزة عم محمد بعى طعيمة بن عدى فأنت عتيق

وخرجت قريش بمحدها وجندها ومن تابعها ، وخرجوا معهم بالظعن ، التماس الحفيظة والأيفروا — فخرج أبو سفيان بامرأته هند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبي جهل ، والحزث بن هشام ، وصفوان بن أمية ، وعمرو بن العاص ، وطاحه بن أبي طلحة ، وغيرهم كل بامرأته — وخرجت خنساء بنت مالك مع ابنها عزيز بن عمير

وكانت هند كلما حرت بو حشى قالت ويها أبادسمة أشف واشتفـ
فأقبلوا حتى نزلوا على شفير الوادي مقابل المدينة
فلما سمع رسول الله والمسلمون أنهم نزلوا حيث نزلوا قال للناس:
إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا وبشر
مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان هذا رأى عبد الله بن أبي
أيضا ، وكان الرسول يكره الخروج إليهم ، فقال رجال من المسلمين ممن
أكرم الله بالشهادة يوم أحد ، وغيرهم ممن كان قاتهم بدر : يا رسول الله
أخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يروننا جئنا عنهم وضعفنا ، فقال ابن أبي :
يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدونا
قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها عليها إلا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله
فإن أقاموا أقاموا وبشر محبس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ،
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا
خائبين كما جاءوا - فلم يزل الناس برسول الله حتى دخل فلبس لامته
ثم خرج عليهم وقد ندم الناس وقالوا استكرهنا رسول الله ولم يكن لنا
ذلك - فقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت
فأقم ، فقال ما ينبغي لبي إذا لبس لامته أن يضمها حتى يقاوم - وخرج
في ألف من أصحابه ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد انخزل عنه
عبد الله بن أبي بثلت الناس ، وقال أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علام
نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ! - فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل
النفاق والريب ، واتبعهم أحد بنى سلمة يقول : يا قوم اذكركم الله أن
لا تخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم ، فقالوا لو نعلم قتالا



مَا بَيْنَ الْجَهَنَّمَ وَالنَّارِ
لَيْسَ شَيْءٌ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا رَسُوْلٌ مِّنْكُمْ

ورسم الشيخ محمد فخر الدين مدرّس الجغرافيه والسايخ بدار العلوم

لأنهم - فدعا عليهم وقال فسيغني الله نبيه عنهم
وقال الانصار لرسول الله ألا نستعين بحامائنا من يهود فقال :
لا حاجة لنا فيهم ومضى رسول الله حتى سلك في حرة بني حارثة وقال :
ألا من رجل يخرج بنا على القوم من كئيب من طريق لا يمر بنا عليهم
فدله أحد بني الحرث فمضى حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي
إلى الجبل ، فجعل عسكره وظهره إلى أحد ، وقال لا يقاتلن أحد منكم
حتى تأمره بالقتال ، وتعي رسول الله للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وأمر
على الرماة عبد الله بن جبير وهو معلم يومئذ بآب بيض والرماة
خمسون رجلا ، فقال : انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، إن
كانت لنا أو علينا فأنبت مكانك لأنوثتين من قبلك ، ودفع اللواء إلى
مضرب بن عمير ، وورد أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن
ثابت أحد بني مالك ، والبراء بن عازب ، وغيرهم وهم أبناء خمس عشرة
سنة ثم ردهم يوم الخندق وتبعت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم
مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على مينة الخيل خالد بن الوليد وعلى
ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأعطى رسول الله أبا دجاجة سيفاً
وكان شجاعاً محتالاً عند الحرب إذا كانت وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء ،
فاعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل فلما أخذ السيف أخرج عصا بته فعصب
بها رأسه وجعل يتبختر بها بين الصفيين ، فقال رسول الله إنها لمشية
يغضها الله إلا في مثل هذا الوطن

وأراد أبو سفيان أن يمرض أصحاب اللواء من بني عبد الدار
انقل : يا بني عبد الدار ، انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم ،

وانما يؤتى الناس من قبل ربانهم ، اذا زالت زوايا ما ان تكفونا لو انما
 وأما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهو ابه ونحو أعدوه ، وقطعه
 ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع ، وهذا ما كان يريد أبو سفيان .
 فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة في
 النسوة الثلاثي معها وأخذن الدفوف يضربن بهن الخلف الرجال ويحرضنهم
 فاقبئل الناس حتى حيت الحرب وقابل أبو دجاجة حتى لمعن في
 الناس وهو يقول

أنا الذي عاهدني خايل ونحن بالسفح لدى النخيل .
 إلا أقوم الدهر في الكيول ضرب بسيف الله والرسول .
 فجعل لا يلقى أحد إلا قتله ، وحمل السيف على مفرقه هند بنت
 عتبة ثم عدل عنها ، وصمد لانسان من قريش فولول فاذا امرأة فقال
 أكرمت سيف رسول الله ان أضرب به امرأة
 وقابل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أحد النفر الذين يحملون
 اللواء ، وتجداد سباع بن عبد العزى فلما التقيا ضربه حمزة فقتله

حديث وحشي وقتل حمزة

حدث وحشي قال ، والله اني لأنظر الى حمزة يبرز الناس بسيفه
 ما يليق به شيئا مثل الجمل الأورق ، اذ تقدمني سباع فضربه ضربة
 فكأنما أخطأ رأسه ، وهزئت حررتي حتى اذا رجعت منها دفعتها عليه
 فوقعت في ثلته حتى خرجت من بين رجله ، فاقبل نحوي فغاب
 فوقع ، وأملته حتى اذا مات جئت فأخذت حررتي ، ثم توجهت الى

المعسكر ، ولم يكن لي بشيء حاجة غيره ، وإنما قتلته لأعتق ، فلما قدمت مكة عتقت ، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله مكة هربت إلى الطائف ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ليسلموا ، تعيبت على المذاهب حتى قال لي رجل وبحك ! انه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه وتشهد شهادة الحق ، فلم يرع رسول الله إلا بي قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق ، فلما رأيته قال : أوحشى ؟ قلت نعم ، قال : أقمد فحدثني كيف قتلت حمزة ، فحدثته فلما فرغت قال : وبحك ! غيب عني وجهك فلا رأيته ، فكنت أتكذب رسول الله حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله - فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة أخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ، فتهيأت له وتهيأت له رجل من الانصار ، ودفعتها عليه فوقعت فيه ، وشد عليه الانصاري بالسيف فربك أعلم أينما قتله ، فان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله وقد قتلت شر الناس

عور ، وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله حتى قتل ، قتله ابن قتيبة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله ، ورجع إلى قريش وهو يقول قتلت محمداً ، وحمل اللواء بعد مصعب على بن أبي طالب ورجال من المسلمين وجلس رسول الله تحت راية الانصار حين اشتد القتال وأرسل إلى علي بن أبي طالب أن قدم الراية فتقدم وقال أنا أبو القصم (الدواهي) فبرز له صاحب لواء المشركين وقال : هل لك في البراز من حاجة فبرزنا بين الصفين فاختلعا ضربتين فضر به على فصرعه ولم يجهر عليه لأنه استقبله بعورته

والتقى حنظلة بن أبي عامر وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة ضربه رجل من المشركين فقتله فقال رسول الله إن صـاحبيكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة

ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده فحسوم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر

غلبه حربية تاجر الى الهزيمة

وكانت هزيمة المشركين لاشك فيها حتى قال الزبير لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب مادون أخذهن قليل ولا كثير ، إذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلصوا ظهورنا للخيل فكأيدنا من خلفنا ، وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم

وانكشف المسلمون فاصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة حتى خاض العدو الى رسول الله فدف بالهجارة حتى وقع لشقه فاصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفقه ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص ، فأخذ على ابن أبي طالب بيد رسول الله ورفع له طلحة حتى استوي قائما

وترس دون رسول الله أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحرف عليه حتى كثر النبل فيه - وكان أول من عرف رسول الله بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله ، كعب بن مالك قال فناديت بأعلى

صوتني يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله فلما عرف المسلمون
رسول الله نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه وجوه المهاجرين
وربط من المسلمين فلما أسند أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أي
محمد لا نجوت أن نجوت ! ، فقالوا يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا
فقال دعوه ، فلما دنا منه تناول رسول الله حربة الحرث بن الصمة
ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأ منها عن فرسه مرارا فمات
والمشركون قافلون به الى مكة

وبينا رسول الله في الشعب ومعه هؤلاء ، اذ علت عالية من قريش
الجليل ، فقال النبي : اللهم لا ينبغي لهم أن يعلونا ونهض ليعلموا فلم يستطع
فجلس تحته طلحة فنهض به حتى استوى على الصخرة وكان الناس قد
انهمزوا عن رسول الله حتى انتهوا الى المنى دون الاعوص الى أحد

أمر هند والمثلة بحمزة

ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها بمثلان بالقتلى من
أصحاب النبي يمجذعن الآذان والانف حتى اتخذت هند من آذان
الرجال وأنوفهم خدما وقلائد ، واعطت خدما وقلادتها وقرطها
وحشياً قاتل حمزة ، وبقرت عن كبده حمزة فلاكها فلم تستطع أن
تسيغها فلفظتها وقالت

شفيت من حمزة نفسي بأحد حتى بقرت بطنه من الكبدة

أذهب عني ذا لما كنت أحد من لدغه الحزن الشديد المعتمد

ثم أن أبا سفيان أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته فقال
أنعمت فعمال أن الحرب سجال ، يوم بيوم بدر . أُنْزِلْ هُبْلَ فقال
رسول الله : قم يا عمر فأجبه فقال الله ألي وأجل قتلانا في الجنة وقتلاكم
في النار . فلما سمع أبو سفيان قال : هلم الى يا عمر فاذن اليه النبي
فجاءه . فقال أبو سفيان أقتلنا محمدا ؟ قال اللهم لا وأنه ليسمع كلامك
الآن . قال : أنت أصدق عندي من ابن قمية وأبر . ثم انصرف ونادى
موعدكم بدر للعام القابل فقال النبي لرجل من أصحابه ، قل نعم ،
هو بيننا وبينك موعد - ثم بعث رسول الله عليا فقال : اخرج في آثار
القوم فانظر ماذا يصنعون فان كانوا قد جنبوا الحيل وامتطوا الابل
فلهم يريدون مكة : وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون
المدينة . فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن اليهم فيها - ثم
لأنجزهم - قال علي فخرجت في آثارهم انظر ماذا يصنعون فجنبوا
الحيل وامتطوا الابل ووجهوا الى مكة وفرغ الناس لقتالهم -
ولم يؤسر من المسلمين أحد وانما قتل منهم سبعون . ستة منهم من
المهاجرين - وأمر رسول بدفن الموتى حيث صرخوا ثم رجع رسول
الله الى المدينة يوم السبت يوم الوقعة فلقيته حمزة بنت جحش فنعى لها
أخوها عبد الله فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة
فاسترجعت واستغفرت ، ثم نعى زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولوات
فقال النبي : أن زوج المرأة منها بمكان
ولما كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن

مؤذّن رسول الله في الناس بطالب العدو ، والا يخرج الا من حضر يومنا
بالأدس . أراد بذلك الرسول أن يرهّب العدو ويبلغهم أنه خرج في
طلبهم ليظنوا به قوة ، وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ، فخرج
حتى انتهى الى حمراء الأسد فأقام بها ثلاثة أيام ثم رجع الى المدينة فربه
معبد الخزاعي وكانت خزاعة عبيّة نصح لارسله ول مسلمهم ومشرّكهم
فقال يا محمد أم والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ، ولوددنا أن
الله عافاك فيهم ، وخرج حتى لقي أبا سفيان بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة
الى رسول الله ، وقلوا أصبنا حد أصحابهم وأشرفهم وقتلهم ثم رجع
قبل أن يستأصمهم ؟ انكزن على بقيتهم فلانفرغن منهم ، فله رأى
أبو سفيان مبدأ قال ماوراك . مبدأ قول : محمد في أصحابه بطالبكم
في جهم لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقاً ، قد اجتمع معه من كان
قد يخاف عنه في يومكم وندهوا على ما ضيعوا ، فيهم من الحق عليكم
شيء لم أر مثله قط ، وانصحه بالمودة فماد ، وكذلك عاد رسول الله الى
المدينة فأخذ معاوية بن النزيرة فقتله ثم أخذ أبا عزة الجهمي الذي أسر
بيدروء من عاليا فقال يا رسول الله : أقتل ، فقال : والله لا تمسح عارضيك
بمكة بعدها وتقول خدعت محمد امرئين أضرب عنقه يازبير فضرب عنقه
هذا . وقد نزلت في يوم أحد ستون آية من آل عمران ، فيها
صفحة ما كان في يومهم ذلك ومعانبة من عائب منهم ، أولها واذا ندوت
من أهلِكَ تبوء المؤمنون فقامد لاقتال والله سميع عليم
وبعد فقد رأيت في تنابها هذه القصة (١) أن النبي لم يخرج الى
قرايش وهم بأحد الا بعد أن استأشار القوم وأنه عمل برأي الاكثرية

(٢) أنه مضى في الامر ولم يرجع لئلا يتهم بالخور في العزيمة (٣) أن المسلمين انتصروا أولا حينما عملوا بأمر رسول الله وحافظوا عليه (٤) أن ما حل بالمسلمين من الهزيمة بعد ذلك إنما كان من مخالفة الرماة أمر النبي ، وأنهم خافوا أن يستأثر اخوانهم بشيء من الغنيمة بعد النصر ، فأخذوا مراكزهم وفتحوا لخليل ابن الوليد الطريق ، فحدث حركة التفاف صار بها وراء ظهور المسلمين فضربهم من خلفهم وعاد المنهزمون من المشركين حينما رأوا ذلك فأخذوهم من الامام وبذلك وحده حصلت هزيمة المسلمين (٥) أنه لم يؤسر من المسلمين أحد وهذا أمر نادر الحدوث في الحروب مع أن المسلمين غلبوا الكفار أولا ثم غلب المشركون بعد ذلك والفريقان في فرقة من العدد

وخرج أبو سفيان من قابل ، وخرج النبي الى بدر لميعاده غير أن نعيما الاشجعي كان قد اعتمر وهو على شركة فاستخدمه أبو سفيان في تثبيط أهل المدينة ، فلما فعل ذلك قال النبي والله لو لم يخرج أحد معي لخرجت وتسامع القوم فأزار الله بصائرهم وخرجوا مع الرسول الى بدر فأقاموا ثمانى ليال ينظرون أبا سفيان فلم يحن فأتجروا وربحوا ، ولم يلقوا عدوآ ، وانقلبوا بنعمه من الله وفضل لم يسهم سواه واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم

اجلاء بني النضير

يتقدم غزو بني النضير واجلاءهم خبر بئر معونة ، وبيانه أن أبا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة قدم على النبي فعرض عليه

الاسلام ودعاه اليه . فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد لو بعثت رجلاً من
 أصحابك الى أهل نجد فدعهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ،
 فقال له : انى أخشى عليهم أهل نجد ، قال : انالهم جار فابعثهم فليدعوا
 الناس الى أمرك ، فبعث النبي المنذر بن عمر في أربعين رجلاً من خيار
 المسلمين فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين أرض بنى عامر وحرّة
 سليم وهى الى الاخرة أقرب ، فلما نزلوها بمشوا رجلاً منهم بكتاب
 النبي الى عامر بن الطفيل فعدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم
 بنى عامر فأبوا ان يجيبوه ؛ وقالوا لن نخفر أبا براء ، فاستصرخ عليهم
 قبائل من بنى سليم فاجابوه وأحاطوا بأصحاب النبي وهم فى رحالهم فلما
 رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قتلوا جميعاً رجعهم الله الا واحداً
 تركوه وبه رمق فنجا : وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمري
 ورجل من الانصار فلم ينبث ما عصاب أصحابهما الا الطير تحوم على العسكر
 فاقبلوا لينظروا فاذا القوم فى دماهم واذا الخيل التى أصابتهم واقفة ،
 فقال الانصارى لعمرو بن أمية ما ترى ؟ قال أن ناحق برسول الله
 فنخبره الخبر ، فقال ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر
 ابن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل وأخذوا عمراً أسيراً ، فلما أخبر انه
 من مضر أطلقه ابن الطفيل وجز ناصبته وأعتقه من رقبة زعم انها كانت
 على أمه ، فخرج عمرو حتى أوى الى ناحية مستظلاً فنزل عليه رجلان
 فى ظله كان معهما عقد من رسول الله وجوار لم يسلم به عمرو ، واذا هما
 عامريان فأمرلهما حتى اذا نالما عدا عليهما فقتلهما وهو يرى انه قد
 أصابهما ناره من بنى عامر — فلما قدم على رسول الله فاخبره الخبر

قال لقد قتلت قتيلين لأدينهما ثم قال هذا عمل أبي براء لقد كنت لهذا
كلهما متخوفاً ، فشق على أبي براء ما كان ، فحمل أحد بنيهِ على عامر
ابن الطفيل فطعنه بالرمح في فخذه فأشواه ووقع عن فرسه
وبعد فانه لما كان هذا خرج رسول الله الى بنى النضير يستعينهم في
دبة ذينك القتيلين من بنى عامر وهما اللذان قتلها عمرو بن أمية للجوار
الذي كان النبي عقد لهما ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد
وحلف فلما جاءهم رسول الله لذلك قالوا نعم نعينك على ما أحببت مما
استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل
على مثل حاله هذه ، (والنبي الى جنب جدار من بيوتهم قاعد) فمن رجل
يعلم هذا البيت فيلحق عليه صخرة فيرمي بها منه ؟ فقال أحدهم أنا لذلك ،
فصعد ليأتي عليه حجراً فأتاه خبر السماء بما أراد القوم فقام وترك من
كان معه من أصحابه ، وخرج راجعاً الى المدينة ، فلما استلبث النبي
أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال
رأيتُه داخلاً المدينة ، فاقبلوا حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر وأمر بالتهيؤ
لحرب بنى النضير والسير اليهم ، فحاصروهم ست ليال فتحصنوا منه في
الحصون ، فأمر النبي بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه يا محمد قد
كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من منعه ، فما بال قطع النخيل
وتحريقها ؟ وكان رهط عبد الله بن أبي قد بعثوا الى بنى النضير أن اثبتوا
وتنعموا فانا لن نسلمكم ، لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً
أبداً وان قوتلتهم لننصرنكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا ، وقذف
الله في قلوبهم الرعب وسألوا رسول الله أن يجليهم ويكف عن دماءهم

على أن لهم ما حملت الأبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف
 بابيه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار
 الى الشام ، فكان أشرفهم من سار منهم الى خيبر : سلام بن أبي الحقيق ،
 وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحيى بن أخطب ، فلما نزلوها دان
 لهم أهلها ، وخلوا الأموال لرسول الله فكانت له خاصة يضعها حيث
 شاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الانصار اذ لم يعط منهم الا سهل
 ابن حنيف وأبا دجاجة لانهما ذكرا فقرا - وقد نزل بنى النضير سورة
 الحشر بأسرها ، ويقال ان غزوة بنى النضير هذه كانت بعد بدر بستة
 أشهر كما يقال أن السبب في غزوهم عدم اشتراكهم في وقعة أحد وكان
 بينهم وبين النبي معاهدة دفاع معتدلين بان اليوم سبت وهم لا يزالون
 في يوم السبت عملا

وكان النبي يعتبر أن غزوة أحد موجهة الى أهل المدينة عامة
 فيجب عليهم أن يخرجوا للقاء العدو كما هو نص المعاهدة ولكنهم
 اعتذروا بالسبت - ويروى أن النبي لما قدم المدينة صالح بنى النضير
 على ألا يكونوا له ولا عليه ، فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت
 في النوراة بالنصرة ، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا ،
 وخرج كعب بن الأشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا أبا سفيان
 فامر النبي محمد بن مسلمة بقتل ابن الأشرف فقتله غيلة فكان قتله
 بمثابة اعلان الحرب عليهم لانه كان من زعمائهم ولذلك صحبهم بالكتائب
 وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء كما سبق ، والغرض ان تعلم أن
 الاسباب في غزو بنى النضير متنوعة

غزوة الخندق

حفر الخندق لم يكن من عادة العرب ولا كنه من مكاييد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسي وكان من حديث الخندق : أن نفرأ من اليهود (منهم سلام بن أبي الحقيق النضري ، وحيسى بن أخطب النضري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، ونفر من بني وائل وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله) خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم الى حرب رسول الله وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله

والأصل في ذلك أن أشراف بني النضير الذين نزلوا في خيبر أخذوا يفكرون في أمرهم ، ويتمسكون الطرق التي توصلهم الى أخذ الثأر من الانصار ، والى مزارعهم وصياصيتهم في جهات يثرب التي سكنوها من قرون مضت وكان لهم فيها السلطان والثروة والدولة ثم أصبحوا في خيبر في حالة برأى لها وتستوجب النظر

فلما عرضوا على قريش ذلك الامر قالوا لهم : انكم اهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق ، فانظر كيف تورط اليهود في الامر ، وفضلوا الوثنية على الدين الالهى ، والاشراك على التوحيد ، فضلا عن التجايرهم الى عبدة الاصنام : وجعلوا هذا الامر الملهى عنه في كتبهم ضرورة حربية وخدعة . مما يدلك على أنهم كانوا يريدون التضحية بكل عزيز عليهم حتى يدينهم في سبيل العودة الى

المدينة والانتقام من الانصار ، وقد ندد القرآن الكريم بصنيعهم هذا ولعنهم (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ... الآيات)

فاما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب النبي ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ، ثم خرج النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعواهم الى حرب النبي وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه

خرجت قريش وقائدها أبو سفيان ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزاري في فزارة ، والحريث بن عوف في بنى مرة ومسعر بن رخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع

أما غرض قريش من الحرب فهو اصلة القتال ليأخذوا بشار قتلى بدر وأحد ، ولذلك دخلوا بين أستار الكعبة واقسموا ليواصلن القتال حتى لا يبقى فيهم ربق من الحياة

وأما غرض غطفان منها فلأن اليهود وعدوهم اذا تم لهم النصر ان يكون لهم ما تخرجه مزارع خيبر وبساتينها سنة كاملة

ولما سمع رسول الله بهم وما اجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين في الاجر ، فعملوا معه وأبطأ رجال من المنافقين فكانوا يورون بالعمل القليل ويتسلمون الى أهلهم بغير علم من الرسول ولا اذن ، اما المسلمون فكانوا عند الحاجة يستأذنون

ولما فرغ رسول الله من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجمع

الأسياال من رومة فى عشرة آلاف من أعايشهم ومن تبعهم من بنى كفاة وأهل تهامة - وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذب نقمى الى جانب أحد - وخرج النبى والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضر ب هناك عسكره والخذق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء فحملوا فى الآطام

وخرج حيسى بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عمت بنى قريظة وكان قد وادع النبى على قومه وعاقده على ذلك وعاهده ، فاعلق كعب بابيه دون حيسى ، فناداه ويحك! افتح لى ، فقال انك امرؤ مشئوم وانى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا ، قال: ويحك! افتح لى أكلك ، فأبى فما زال به حتى فتح له فقال يا كعب جئت بك بعز الدهر ، جئت بك بقريش على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياال من رومة ، وبغطفان على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بذب نقمى الى جانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال كعب : جئت بى بذل الدهر ويحك! فدعنى يا حيسى وما أنا عليه فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ، فلم يزل يقتله فى الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك فنفق كعب عهده ، وبريء مما كان بينه وبين رسول الله .

فلما انتهى الخبر الى رسول الله والى المسلمين بعث سيد الأوس سعد بن معاذ، وسيد الخزرج سعد بن عباد، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم؟ فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وان كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من النبي وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه فنهاه سعد بن عباد وقال ما بيننا وبينهم أربى من المشامة، وأقبلوا ومن معهم الى النبي فسلموا عليه وقالوا عضل والقارة أى كغدر عضل والقارة في إحدى الغزوات، وهذا هو اللحن الذي أراده النبي منهم فكبر وقال أبشروا يا معشر المسلمين.

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال بعضهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط، وقال آخر يا رسول الله ان بيوتنا عورة فأذن لنا أن نخرج فنرجع الى دارنا فانها خارج من المدينة.

فلما اشتد على الناس البلاء بعث النبي الى قائدي غطفان فأعطاهما ثلث ثمر المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فرضوا وفضلوا ما وعد به الرسول على ما اتفقوا مع اليهود عليه لأن الأول ليس معه حرب ولا بسفكون من أجله دماء - وجري بين الرسول وبين غطفان الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا العزيمة الا المراوضة في ذلك

فلما أراد النبي أن يفعل بعث الى سعد وسعد فاستشارهما فقللا
يا رسول الله ، أمرًا تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لابد لنا من العمل
به ، أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال بل شيء أصنعه لكم ، والله ما اصنع ذلك
الا لانني رأيت العرب تد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل
جانب ، فأردت أن أكرس عنكم من شوكتهم الى أمر ما . فقال سعد
ابن معاذ قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله ، وعبادة الاوثان ،
لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة الا قرى أو بيعا ،
أفحين أكرمنا الله بالاسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك به ، نعطيهم أموالنا ؟
والله مالنا بهذا من حاجة ، ولا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا
وبينهم ، قال النبي : فأنت وذاك فيقال ان سعداً تناول الصحيفة ومحا
ما فيها من الكتاب - فأقام رسول الله والمسلمون وعدوهم محاصره
ولم يكن بينهم قتال الا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود ،
وعكرمة بن أبي جهل ، خرجوا على خيلهم حتى وقفوا على الخندق
فلما رأوه قالوا والله ان هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها - ثم
تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت
بهم في السبخة بين الخندق وطلع .

وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم
الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم ، وأقبل عمرو هو وخيله وقال : هل من
مبارز ؟ فبرز له علي فدعاه الى الله ورسوله فقال لا حاجة لي بذلك فدعاه
الى الغزال فقال له : لم يا بن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك . قال علي
ولكني والله أحب أن أقتلك ، فخمى عند ذلك عمرو ، فاقتحم عن فرسه

ففقره وضرب وجهه ثم أقبل على على فتنازلا وتجاولا فقتله علي ،
 وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة — وألقى
 عكرمة رحه يومئذ وهو منهزم ، وأقبل على نحو النبي وهو منهل
 وتعفف عن أخذ سلب عمرو .

ورمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكل وكان يقول اللهم
 لا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة .

وبينا الرسول وأصحابه في تلك الشدة إذ أقبل نعيم بن مسعود
 الغطفاني فقال : يا رسول الله قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي
 فرني بما شئت ، فقال له : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن
 استطعت فإن الحرب خدعة ، فخرج حتى أتى قريظة وكان لهم ندما
 في الجاهلية فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم وخاصة بيني
 وبينكم : قالوا لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا
 كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسائكم لا تقدر أن
 تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد
 وأصحابه وقد ظاهرتهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونسائهم وبنيهم فليسوا
 كأنتم ، فإن رأوا انهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا
 بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع
 القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ، ثقة لكم
 على أن تقاتلوا معهم محمداً تناجزوه ، فقالوا : أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان ومن معه : قد عرفتم
 ودي لكم وفراقى محمداً ، وأنه قد بلغني أمر قد رأيت على حق أن أبلغكموه

نصحا لكم ، فاكتموا غنى ، قالوا نفعل ، قال : تعلمون أن معشر يهود قد
ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه : انا قد
ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين رجالا من
أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم
حتى نستأصلهم ؟ فأرسل اليهم أن نعم ، فإن بعثت اليكم يهود يلتمسون
منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : انكم أصلى وعشيرتي وأحب الناس
إلى ولا أراكم تهموننى قالوا : ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا غنى قالوا
نفعل ، فما أمرك ؟ فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس أرسل أبو سفيان
ورعوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش
وغطفان فقالوا : انا لسنا بدار مقام قد هلك الخلف والحافر ، فاعدوا
للقتال حتى تهاجز محمدأ ونفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا اليهم ان اليوم
يوم السبت وهو لا نعمل فيه شيئا ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم
حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد
عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طقة
لنا بذلك منه - فلما رجعت الرسل بما قالت قريظة صدقوا ما حدث به
نعيم وأرسلوا الى بنى قريظة والله لا ندفع اليكم رجلا واحداً من رجالنا
فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فماتلوا ، فقالت قريظة ان الذى ذكر
لكم نعيم لحق ، ما يريد القوم الا أن تقاتلوا فان رأوا فرصة انتهزوها
وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم . فأرسلوا الى قريش وغطفان

انا لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا

وخذل الله بينهم وبعث عليهم الريح في ليل شاتية شديدة البرد
فجملت نكفاً قدورهم وتطرح آنيتهم وجنود الله تفعل بهم ما تفعل
لا تقرر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء فقال : أبو سفيان يا معشر قريش انكم
والله ما أصبحتم بدار مقام - واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره،
واقينا من شدة الريح ماترون ، فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام الى جملة
وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله
الا وهو قائم .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم ،
وكفى الله المؤمنين القتال وخلصهم من خطر كان يهدم ما بنوا بين عشية
أو ضحاها لو انتصر هؤلاء الحلفاء ، ويعيد أمر المدينة الى اليهود .

أمر بني قريظة

ولما أصبح النبي انصرف عن الخندق الى المدينة والمسلمون
ووضعوا السلاح ، فلما كان الظهر أذن مؤذنه : من كان سامعاً مطيعاً
فلا يصلين العصر الا ببني قريظة - أراد رسول الله أن يفاجئهم ويحاصرهم
جزاء ما كان منهم من الانضمام الى الأحزاب وتقضيم اليهود والعقود
من غير مبرر - وقدم على بن أبي طالب برأيه الى بني قريظة وابتدراها
الناس فساروا ولما دنا على من الحصون سمع مقالة قبيحة منها لرسول
الله فرجع الى النبي فقال له لا عليك ولو رأوني لم يقولوا شيئاً فلما دنا
النبي من حصونهم قال يا اخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم

نعمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا، فحاصرهم النبي خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وكان حيي قد دخل مع قريظة في حصنهم وفاء لكعب.

فلما رأوا أن رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب لقومه: اني عارض عليكم خلا لا ثلاثاً فخذوا أيها شئتم، قالوا وما هي، قال تتابع هذا الرجل ونصده... قالوا لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره، قال: ان أبيتم فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم تترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد... قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟ قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد واصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا علينا نصيب من محمد واصحابه غرة. قالوا تفسد علينا سبتنا... قال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً.

ثم ما الا أن بعثوا الى رسول الله أن ابنت الينا أبا لبابة لنستشيره في أمرنا فأرسله اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم، وقالوا له: أترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه انه الذبح ثم فطن الي أنه خان الله ورسوله بهذه الاشارة فانطلق ولم يعرج على رسول الله حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده فلما بلغ رسول الله خبره وكان قد استبطأه قال أما انه لو جاءني لاستغفرت له، فاما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه، ثم نزلت على رسول الله توبته في الليل فثار

الناس ليطلقوه فأبى إلا أن يطلقه النبي بيده فلما مر به النبي أطلقه بعد ست ليال .

عود - ونزل القرظيون على حكم النبي فتوالت الأوس وقالوا يارسول الله انهم كانوا مواليكنا دون الحزرج ، وقد فعلت في موالي اخواننا بالأوس ما قد علمت - فقال النبي ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا بلى ، قال فذاك الى سعد بن معاذ فأتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة وأقبلوا به على النبي وهم يقولون يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك فان رسول الله لما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكتروا عليه قال : لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لأثم فلما انتهى الى النبي والمسلمين قال النبي : قوموا الى سيدكم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ، ان النبي قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم قال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا نعم ، وقال وعلى من هنا في الناحية التي فيها النبي وهو معرض عنه اجلالا ، فقال النبي نعم .

الحكم ، قال سعد فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء ؛ فقال النبي لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة أو سبع سموات والمعني واحد .

ثم استنزلوا فحبسهم النبي بالمدينة في دار بنت الحرث ، وخرج الى السوق فخذق بها خنادق ثم بث اليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق بخرج بهم اليه ارسالا وفيهم حبي وكعب وهم ستمائة أو سبعمائة الى تسعمائة - ولما نظر عدو الله حبي الى رسول الله قال والله

ما لمت نفسي في عداوتك واكفنه من يخذل الله يخذل - ولم يقتل من نساءهم الا امرأة واحدة وهي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته أثناء الحصار ، وقتل كل من أنبت منهم - ثم قسم أهوالهم ونساءهم وأبناءهم على المسلمين وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس سهمان وللفارس سهم ، وللراجل (من ليس له فارس) سهم وكان أول في وقت فيه السهمان وأخرج منه الخمس

وبعث رسول الله أحد بنى الأشهل بسبي من سبايا قريظة الى نجد فابتاع لهم به خيلا وسلاحا واصطفى لنفسه من نساءهم ريمحانة بنت عمرو ، عرض عليها أن يتزوجها ، فقالت: بل تتركني في ملكك فهو أخف عليك فتركها ثم أسلمت بعد قليل - وأنزل الله في الخندق وبنى قريظة من القرآن القصة في سورة الاحزاب .

والملاحظة في أمر قريظة أنهم أثناء الحصار لم يناوشوا ، فقل ان ذلك لانهم لم يكونوا اهل حرب بل كانوا رجال حرث وزرع ، وانهم كانوا أقل طوائف اليهود الاخرى بأساً وشجاعة ، على انهم لم يسلموا إلا بعد حصار خمس وعشرين ليلة ، وبعد أن رأوا أنهم هالكون لا محالة على أى حال ، وعلى انهم لم يكونوا ينتظرون من حلفائهم الأوس هذا الغدر هذا - وقد قضت هذه الغزوة على بطون اليهود في المدينة قضاء مبرما وهو جل ما كان يبغيه الأوس والخزرج منذ أزمان - وبقتلهم اضمحلت الحالة الاقتصادية والصناعية في المدينة وما حولها ، لانهم

كانوا أصحاب الأيدي العاملة فيها - وهناك نتائج لهذه الغزوة لا تحصى ومنها أن غنائم اليهود أُثِرَ بها المسلمون وبيت مالهم ، فأصبحوا يبحثون يستطيعون الاتفاق من سعة على ما يريدون الشروع فيه من الغزو في بلاد الحجاز وما يليها ، وبلاد الشام .

ومنها أن المنافقين من أهل المدينة اضطروا إلى الإخلاص اضطراباً ، ولهذا الأمر نتائج التي تترتب على توحيد الوجهة .

ومنها أن قريشا رأت أن قوافلها التي تقصدهم الشام أصبحت في خطر محقق من غارات المسلمين عليها ، وأن النبي قد تفرغ إلى الانتقام منهم ، فكان ذلك تمهيداً إلى عقد هدنة الحديبية كما سيأتي .

موت سعد - ولما انقضى أمر قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فمات واستجاب الله دعاءه ، فحضر رسول الله وأبو بكر وعمر وسمعت السيدة عائشة بكاء الأخيرين عليه .

مقتل ابن أبي الحقيق

وهو أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ، وكان فيمن حزب الأحزاب على النبي ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتل كعب بن الأشرف في عداوته للنبي وتحريضه عليه ، وكان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الانصار كانا يتصاولان تصاول الفحامين ، ولا تصنع الأوس شيئاً فيه عن النبي غناء الا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند النبي في الاسلام - فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، واذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الحزر ج : والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً ، فتذكروا رجلاً في عدائه للنبي كابن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخبير ، فاستأذنوا النبي في قتله فأذن لهم ، فخرج اليه خمسة نفر من الحزر ج فيهم عبد الله بن عتيك وقد أمّره النبي عليهم ، وعبد الله بن أنيس ، ونهاهم الرسول عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً فلم يدعوا بيتاً في الدار الا أغلقوه على أهله ،

قال راوى القصة : وكان في عليّة له اليها عجلة فاستندوا فيها حتى قاموا على بابها فاستأذنوا عليه فخرجت اليهم امرأة فقالت : من أنتم ؟ قالوا أناس من العرب نلتمس الميرة ، قالت ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فدخلوا وأغلقوا الحجرة عليهم وعليها ، فصاحت المرأة فنهت بهم ، فابتدروه وهو على فراشه بأسياقهم ، ولما صاحت المرأة كادوا يقتلونها لولا ماذكروا من نهى النبي ، وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ثم خرجوا وكان ابن عتيك سيىء البصر فوقع من الدرجة فوثقت يده وثماً شديداً ويقال رجله فحملوه ، وعلم اليهود فأوقدوا نيرانهم واشتدوا في كل وجه يطلبونهم حتى اذا يئسوا رجعوا الى صاحبهم وهو يقضى بينهم ، وقال هؤلاء الخمسة كيف لنا بان نعلم بان عدو الله قد مات ؟ وتطوع أحدهم فانطلق حتى دخل في الناس فوجد امرأة وفي يدها مصباح وحولها رجال وهي تقول لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد ، ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فاظ وإله يهود - فرجع الى اخوانه

فأخبرهم الخبر وقدموا على النبي فأخبروه بقتل عدو الله .

اسلام ابن العاص وابن الوليد

حدث عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيتي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أن رأي محمد يعلو الامور علواً منكراً ، واني لقد رأيت أمراً مما ترون فيه ، قالوا وماذا ؟ قال رأيت ان تلحق بالنجاشي فتكون عنده ، فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فانا أن نكون تحت يديه أحب الينا أن نكون تحت يدي محمد ، وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الاخير ، فوافقوه وخرجوا بهديا لهم اليه - وبينما هم عنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمري بعثه النبي في شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج ، ثم دخل عليه عمرو يستأذنه في قتل رسول محمد وتقدم اليه بالهدايا ، وسأله ما يريد من قتل الضمري فغضب النجاشي غضبا شديداً وقال نسألني أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقبله قال عمرو : أ كذاك هو ؟ قال ويحك يا عمرو ! أطمئني واتبعه ، قال أقتبأبني له على الاسلام قال : نعم فبسط يده فبأيعته ثم خرجت الى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي اسلامي وخرجت عامداً الى رسول الله لأسلم ، فلقيت خالد ابن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سلمان ؟ قال : والله لقد استقام الميسم (أي تبين الامر ووضح الدليل) وان الرجل لنبي ، اذهب والله فأسلم فحني متى ؟ قال : والله ماجئت الا

لأسلم ، قال فقدمنا المدينة على النبي فتقدم خالد فأسلم وبايع ، ثم دنوت
فقلت يا رسول الله انى أبايعك على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ،
ولا أذكر ما تأخر فقال رسول الله يا عمرو بايع فالإسلام يحب ما كان
قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها فبايعته وانصرفت - وكان معهما حين
أسلما طلحة بن أبى طلحة ، فأسلم معهما

غزوة ذى قرد

أغار عيينة بن حصن الفرارى فى خيل من غطفان على لقاح
لرسول الله بالغاية وفيها رجل من بني غفار وامرأة له فقتلوا الرجل
واحتملوا المرأة فى اللقاح - وكان أول من ندرهم سلمة بن الأكوع
فأشرف فى ناحية سلمع ورواهم بما كان فى كنفاته من نبل وبلغ الخبر
رسول الله فصاح بأهل المدينة الفرع الفرع فترامت الخيول اليه ، وكان
أول من انتهى الى النبي المقداد بن الاسود ثم تتابع الفرسان فأمر
عليهم سعد بن زيد وقال له : اخرج فى طاب القوم حتى ألحقك فى الناس
فخرج وحمل فرسانه على القوم فقتلوا منهم ، وقتل أبو قتادة فارس البجى
حببت بن حصن ، وسار رسول الله حتى نزل بالخيمل من ذى قرد
وتلاحق به الناس وأقاموا يوماً وليلة وقد استنقذوا بمضى اللقاح ،
فقال ابن الأكوع للنبي لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية
السرح وأخذت باعناق القوم فقال له انهم الآن ليغبقون (يشربون)
فى غطفان ، وقسم صلى الله عليه وسلم فى كل مائة رجل جزوراً وعادقافلا
حتى قدم المدينة - ويروى أن هذه الغزوة كانت بعد الحديبية وهى الأصح

غزوة بنى المصطلق

وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة - بلغ رسول الله أنهم يجمعون له وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحرث زوج رسول الله ، فخرج اليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له المريسيع فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسوله أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءهم عليه ، ولم يقتل من المسلمين الا رجل من بنى كلب أصابه رجل من الانصار وهو يرى أنه من العدو

وبينا الناس على ذلك الماء وردت واردتهم ، فاختلف على الماء خادم لعمر بن الخطاب من بنى غفار مع سنان بن وبر الجهني حليف بنى عوف بن الحزرج ، فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبى وقال أم والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ، وقال لمن حضره من قومه هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتهموهم بلادكم وقاسمتهموهم أموالكم ، فسمع بذلك رسول الله وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عبادة بن بشر فليقتله فلم يقبل وقال أذن فى الناس بالرحيل فأذن وكانت الساعة غير مناسبة فارتحل الناس ومشى ابن أبى الى النبي حينما سمع أن الحديث بلغه فحلف بالله ما قلت ، وكان شريفا فى قومه فتأمل لابن أبى من حضر عند النبي من الانصار من أصحابه ، ولما استقل النبي وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه وقال له لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها ، فقال له : أو ما بلغك ما قال

صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبي
قال : وما قال ؟ فقص عليه النبي ما سمع عنه ، قال : فأنت يا رسول
الله والله تخرجه منها إن شئت : هو والله الدليل وأنت العزيز ، ثم قال
يا رسول الله أرفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظّمون له
الحُرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا - ثم مشى رسول الله
يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذنتهم
الشمس ثم نزل بالناس فناموا من التعب وإنما فعل النبي ذلك بالناس
ليشغلهم عن حديث ابن أبي ، ثم ارتحلوا ونزلت سورة المنافقين في ابن
أبي ومن كان على مثل أمره - وبلغ عبد الله بن أبي الذي كان من أمر
أبيه فجاء إلى النبي وقال بلغني أنك تريد قتل أبي فيما باعك عنه ، فإن
كنت لا بد فاعلا فمرني به . . . واني أخشى أن تأمر به غيرتي فيقتله فلا
تدعني نفسي إلى قاتل أبي يمشى في الناس فأقتله ، فأقتل مؤمنا بكافر
فادخل النار ، فقال الرسول بل تترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا ،
فكان ابن أبي بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه
ويعنفونه ، فذكر عمر النبي بشأنهم هذا وقال كيف ترى يا عمر ؟ أم والله
لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنف ، لو أمرتها اليوم لأقتله
فقال عمر : أمر رسول الله أعظم بركة من أمري

وأصاب رسول الله سبييا من بني المصطلق قسمه في المسامين
وكانت جويرية بنت الحرث قد وقعت في سهم ثابت بن قيس فكانت على
نفسها فأنت رسول الله في كتابتها وقالت له أنا جويرية بنت الحرث بن
أبى ضرار سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك ف وقعت

في سهم ثابت فكانتبه على نفسى فجئتكم استعينكم على كتابتكم وأنزوجهما
قال : قد فعلت فأنظروا ماذا كنت تنائج هذا الزواج ، ان المسلمين لما
علموا أن الرسول تزوج جوهرية قالوا في شأن أسرى قومها : أصهار
رسول الله وأطلقوا ما بأيديهم ولقد عتق بتزويجه اياها مائة أهل
بيت من بنى المصطلق - أما قومها فقد أسلموا عقب ذلك ، فارسل اليهم
رسول الله الوليد بن عتبة فلما سمعوا به ركبوا اليه فهاهم ورجع الى
رسول الله فاخبره أن القوم هموا بقتله ومنعوه ما قبيحهم من صدقتهم
فأكثروا المسلمون في ذكر غزوه حتى هم النبي بأن يغزوهم - وبيناهم على
ذلك قدم وفدهم على الرسول وقالوا سمعنا برسولك فخرجنا اليه لذكره
ونؤدى اليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا أنه زعم لرسول
الله أنا خرجنا اليه لقتله والله ما جئنا لذلك - وكانت خراعة بعد ذلك
عيبة نصيح لرسول الله مسامها ومشرکہا وذلك كله نتيجة هذه المصاهرة

حديث الافك

ولما كان رسول الله قريبا من المدينة وكانت معه عائشة في سفره
ذلك قال فيها أهل الافك ما قالوا

قالت عائشة ، لما قفل رسول الله من سفره ذلك وكان قريبا من
المدينة نزل منزلا فبات به بعض الليل ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحلوا
وخرجت لبعض حاجتى وفي عنقى عقد لى فيه جزع ظفار ، فلما فرغت
انسل من عنقى ولا أدرى فلما رجعت الى الرحل التمسته في عنقى فلم
أجده وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت الى مكانى فالتمسته حتى

وجدته ، وجاء القوم الذين رحلون بعيري فاخذوا الهودج وهم يظنون
أنى فيه ، فاحتملوه على عاتقهم وانطلقوا ورجعت الى المعسكر وما فيه
من داع ولا حبيب ، فتلذذت بحبابى واضطجعت في مكانى وعرفت انهم
يرجعون الى اذ افتقدونى ، فوالله انى لمضطجعة اذ مربى صفوان بن
الماعطل وقد كان تخلف عن المعسكر لحاجته فلم يبت مع الناس ، فلما
راى سوادى أقبل حتى وقف فعرفنى ، وكان رآنى قبل أن يضرب
الحجاب فاسترجع وقال ما خلفك ، قالت فما كلمته ، ثم قرب البعير وقال
اركبى ، فركبت وأخذ برأس البعير فنطلق سريعا يطلب الناس ،
فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس ، فلما
اطمأنوا طلع الرجل يقودنى فقال أهل الافك ما قالوا ، فارتج المعسكر ،
والله ما أعلم بشيء من ذلك ، ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت
شكوى شديدة ولا يبلغنى من ذلك شيء .

وانتهى الحديث الى النبى وأبويها فكأنوا عنها الأمر حتى أبلت ،
وفطنت الى شيء من جفاء رسول الله فطلبت اليه أن تمرض في بيت
أمها ، فأجابها الى ما طلبت ، فلما شفيت خرجت في بعض الليالى لتغنى
حاجة ومعهام امرأة ، فأخبرتها بحديث الناس في شأنها فرجعت تبكى
وتعتب على أمها ، فتناظفت معها ، وكان الذى يتولى كبر هذا الامر
عبد الله بن أبى فى رجال من الخزرج ، وقام رسول الله فخطب فى الناس
وقال ما بال رجال يؤذونى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت
منهم الا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه الا خيراً ،

وما يدخل بيتا من بيوتى الا وهو معى ، فقال أسيد بن حضير يا رسول الله ان يكونوا من الأوس نكفكمهم ، وان يكونوا من اخواننا الخزرج فمر بأمرك ، فوالله انهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، فحصل بينه وبين سعد بن عبادَةَ مشادة حتى كاد يكون بين الحيين شر .

واستشار رسول الله عليا وأسامة فأثنى اسامة خيرا ، وأما على فقال ان النساء لكثير وانك لقادر على أن تستخلف .

ثم دخل بيت أبى بكر وطلب اليها أن تتوب ان كانت قارفت سواء مما يقول الناس وكانت تبكي فقلص دمعها وانتظرت من أبويها أن يجيبا النبي فلم يتكلما ، فقالت وأيم الله لأنا كنت أحقر في نفسى وأصغر من أن ينزل الله في قرآنا بقرأته في المساجد ويصلى به ، وطلبت الى أبويها أن يجيبا فلم يفعلا ، فاستعبرت وبكت وقالت والله لا أتوب الى الله مما ذكرت أبدا ، وقالت فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، فما برح رسول الله مجلسه حتى جاءه الوحى فلم تفزع ولم تبال ، أما أبواها فكادت تخرج أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، ثم سرى عن رسول الله فجلس وقال أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك ثم خرج على الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، وأمر بمن كانوا قد أفصحوا بالفاحشة فضرَبوا أحدهم رجلا ونساء ، وكان أبو بكر ينفق على أحدهم لقربته فحلف لا ينفعه بنفع أبدا ، غير أنه رجع عما عزم عليه حين نزل في آيات البراءة قوله تعالى « ولا يأتى أولوا الفضل منكم والسمة الآية ... »

ويقال أن حسان بن ثابت كان من الذين أنفذ فيهم هذا العقاب ،
أما ابن المظالم فقد تبين أنه كان رجلاً حصوراً ما يأتى النساء .

أمر الحديبية

وبيعة الرضوان و صلح قريسه

خرج رسول الله في آخر سنة ست معتمراً لا يريد حرباً ، واستنفر
العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو
يخشى من قريش الذي صنعوا أن يعرضوا له بحرب أو يصـدوه عن
البيت ، فابطأ عليه كثير من الأعراب ، فخرج بمن معه من المهاجرين
والانصار ومن تبعه ، وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من
حربه ، وليعلموا أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له - وكان الناس
سبعمائة ، أو أكثر إلى ألف وأربعمائة ، وكان ما ساقه من الهدى سبعين
بدنة - سار رسول الله بالناس من الطريق الغربي حتى إذا كان بمسفان
لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال له : يا رسول الله هذ قريش قد سمعت
بمسيرك فخرجوا ، معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد
نزلوا بذى طوى (غربي مكة) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ،
وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها - فقال له النبي : يا وبع
قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ،
فإنهم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام
وأفرين » وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال
أجاهد على هذا الذي بعثنى الله به حتى يظمره الله أو تنفرد هذه الساقة ؟

ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ، فدلهم رجل من أسلم على الطريق الذي سلكوه وكان وعرا أجرل بين شعاب ، فلما قطعوه أمرهم رسول الله أن يسلكوا ذات اليمين في طريق ثنية المزار مهبط الحديدية ، فلما رأته خيل قريش أنهم قد خالفوا طريقهم رجعوا راكضين الى قريش .

وبركت ناقة رسول الله فقال الناس خلأت قال ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لاتدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ، ثم قال لصاحبه أنزلوا فقالوا ما بالوادي ماء فدلهم على ناحية وطريقة حصلوا بها على الماء فشربوا وشربت لهم .

ثم ان بديل بن ورقاء الخزاعي جاء رسول الله في رجال من خزاعة وسألوه ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وانما جاء زائرا للبيت ، ثم قال لهم نحو ما قبل لبشر ، فرجعوا الى قريش وقالوا لهم ، انكم تعجلون على محمد ، ان محمدا لم يأت لقتال وانما جاء زائرا لهذا البيت ، فاتمهم ووجههم ، وكانت خزاعة عيبة نصبح للرسول كما سلف مشركها وكافرها لا يخفون منه شيئا كان بمكة .

وبعث قريش الى النبي رجلا من بني عامر بن لؤي فقال له النبي نحو مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع الى قريش فأخبرهم ثم بعثوا اليه سيد الاحابيش الحليس بن علقمة ، فلما رآه الرسول قال ان هذا من قوم يتأهلون فبعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فبعثوه فلما رآه رجع الى قريش ولم يصل الى الرسول اعظاما لما رأى فقالوا له :

اجلس فما أنت الا اعرابي لا علم لك، فقال : والله ما على هذا حالناكم، أبعد عن بيت الله من جاء مظلماً له ، والذي نفس الحاميس بيده لتدخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنقرن بالاحابيش نفرة راجل واحد (وهذا أول الخائف) فقالوا له كف عنا حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به .

ثم بشوا الى النبي عروة بن مسعود الثقفي فقال لهم أسمع منكم ما أكره فقالوا ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج الى ابى وقال له : يا محمد أجمعت أو شاب الناس ثم جئت بهم الى بيضتك لنفضها بهم ، انها قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل قال وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا فشتمه أبو بكر ، ثم جعل عروة يتناول لحية النبي وهو يكلمه فكان المغيرة بن شعبه يقرع يده ويقول اكفف يدك قبل أن تصل اليك فشتمه فتبسم النبي وقال لعروة هذا ابن أخيك المغيرة ثم ان رسول الله كلما بنحو مما كلم أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً فقام من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه من الاخلاص والطاعة والمبادرة الى تنفيذ ما يشيرونه .

فرجع الى قریش وقال لهم انى قد جئت كسرى فى ملة كه وقيصر فى ملة كه والنجاشى فى ملة كه ، وانى والله ما رأيت ملة كما فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، وقد رأيت قوما لا يسلمونه فى لشيء أبداً ، فروا رابكم ثم ان قریشا بعثوا أربعين أو خمسين رجلاً وأمروهم أن يطيفوا بعسكر الرسول ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً فأخذوا أخذاً . ولكن رسول الله عفا عنهم وخلق سبيلهم كرماً وفضلاً وبعد نظراً وحسن سياسة .

ودعا عمر بن الخطاب ليعثه الى مكة فيبائع عنه أشراف قریش ما جاء ، فقال انى أخاف قریشا على نفعى ، وليس بمكة من بنى عدى بن

كعب أحد ينعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلمظني عليها ،
 ولكنني أدلك على رجل أعز بهامني ، عثمان بن عفان ، فدعا النبي وأرسله
 إلى أبي سفيان وأشرف قريش بحبرهم أنه لم يأت لحرب ، فخرج فلقبه
 إبان بن سعيد بن العاص فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة النبي ،
 فقالوا له إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى
 يطوف رسول الله ، فاحتبسته قريش عندها ، فباغ النبي والمسلمين أن
 عثمان قتل ، فقال النبي لانهرح حتى نتاجز القوم .

ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على
 الموت أو على الالبغوا ، ولم يتخلف عنه إلا أحد بني سلمة - ثم أتى
 النبي أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

الهـدنة

ثم بعث قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى النبي
 وقال له أنت محمد فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عامه هذا ،
 فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا ، وجاء سهيل فلما
 رآه النبي مقبلا قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما
 انتهى إلى النبي تكلم فأطال ، ثم جرى بينها الصلح ، ، فمما التأم الأمر
 ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : أليس برسول
 لله ؟ قال بلى ، قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال أوليسوا بالمشركين ؟
 قال بلى ، قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فطمأنه ثم ذهب إلى النبي فقال

له لمحو مما قال عمر ، فقال النبي أنا عبد الله ورسوله لن أخالف، أمره
ولن يضيعني .

ودعا رسول الله على بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن
الرحيم فقال سهيل لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فأمره
الرسول بموافقته ، ثم قال اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله
فقال سهيل لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك
واسم أبيك ، فقال النبي : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله
سهيل بن عمرو ، واصطاحا على وضع الحرب عن الناس عشرين بأمن
فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمدا من قريش
بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ،
وان يديننا عيبة مكفوفة (صدور منطوية على ما فيها لا تبدوا منها عداوة)
وانه لا اسدال ولا انلال (خيانة) وان من أحب أن يدخل في عهد محمد
وعقده دخل فيه ، وان من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه
فتوأبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده ، ونوأبت بنو بكر
فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وانك ترجع عنا عامك هذا
فلا ندخل علينا مكة ، وان اذ كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها
بأصحابك فأقت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب
لا ندخلها بغيرها

وبينا رسول الله يكتب الكتاب اذ قدم أبو جندل بن سهيل يرسف
في الحديد قد انفلت الى النبي فقام سهيل فضرب ابنه وقال يا محمد قد
لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فجعل سهيل

يجره ليرده الى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته ويقول
يا معشر المسلمين أؤرد الى المشركين يفتنونني في ديني فقال له النبي اصبر
أبا جندل واحتسب ، فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين
فرجا ومخرجا

ووثب عمر مع أبي جندل يقول له اصبر . ويدنى سيفه رجاء أن
يأخذه فيضرب به أباه فضن الرجل بأبيه ، ونفذت القضية ، وشهد على
الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين .

وكان الصحابة لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله فلما رأوا
ما رأوا من الصلح . دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، فلما فرغ
النبي من الصلح قام الى هديه فنحروه ثم جلس فحلق رأسه ، وتواثب
أصحابه بدمه فنحروا وحلقوا وقصروا ثم انصرف النبي بهم من وجهه
ذلك فافلا حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح ، وفيها
هذه القضية - وكان صلح الحديبية فتحا ما فتح في الاسلام فتح قبله كان
أعظم منه ، انما كان القتال حيث ألقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت
الحرب أوزارها وآمن الناس كلهم بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث
والمنازعة ، فلم يكلم أحد في الاسلام ببقل شيئا الا دخل فيه - ولقد دخل
في تينك السنتين مثل من كان في الاسلام قبل ذلك أو أكثر ، ويروي
أن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كان اسلامهما في هذه الهدنة

والمعجب في أمر الحديبية أن تهادن قريش رسول الله وتطلب
مصالحته ، وهذا دليل واضح على أنهم ضعفوا عن منازلة الرسول وصحبه
مع أنهم أهل الدار والمنعة وقد بينه الله في قوله (ولو قاتلكم الذين كفروا

لؤلوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) وفي الآية إشارة أخرى إلى أن حلفاء قريش فتروا عن مساعدتهم أطول مدعوهم للاستنصار بهم وهذا سبب جيد لتعليل ما كان من مسارعة قريش إلى طلب الصلح وهو أنها رأت أن حلفاءها من قريظة قد أصابهم ما أصابهم من رسول الله ، فأيقنت الهلاك وتمنت لو أن يبينها وبين الرسول سلاما وخافت على قوافلها المترددة بين الحجاز والشام أن تكون عرضة لانتهاك المسلمين ، فيقع بهم من ضيق العيش ما لا قبل لهم بدفعه ، لذلك كله عملت قريش على الصلح

أما ما كان من مخالفة الرسول أصحابه في الرأي بعد أن بايعوه على الموت واستعدوا لفتح مكة ، وبعد أن أظفرهم الله على المشركين وأسروا طليعتهم التي كن رسول الله عليهم بالعتق ، فقد علل له الله تعالى في قوله (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات - الآية) أى لولا ذلك لما كف أبدي المؤمنين عن قريش - على إن الله سبحانه قد وعدم فتح مكة في فرمة أخرى اذ قال (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وقد أوفى رسول الله لقريش بما عاهدكم عليه ورد بعض المسلمين الفارين من عذاب أهل مكة إليهم دون المسلمات ، لا ضمفا عن حمايتهم ولا خوفا من قريش ولكن وفاء بالعهد إن العهد كان مسئولا ، واتباعا لسياسة المسالمة التي أمره الله بها في قوله (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)

على أن في رد المسلمين إلى مكة عمارة البيت وزيادة الخير له في الصلاة

بالمسجد الحرام والطواف بالبيت العتيق فتأمل، أما النساء فليس في العهد ما يتناولهن لأنه كان صريحاً في الرجال دونهن

غزوة خيبر

لما عاد النبي إلى المدينة بعد هدنة الحديبية ، أقام بقية ذى الحجة وبعض المحرم ، وخرج في أواخر المحرم سنة ٧ إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل ، معهم مائتا فارس ، وكانت الراية إلى علي بن أبي طالب ، ثم سلك الرسول على عشرين نحرهم على الصهباء ثم أقبل حتى نزل وادي الرجيع ليحول بين غطفان وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا مظاهرين لهم على رسول الله

ولما سمعت غطفان بمنزل رسول الله من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في ديارهم وخلصوا بين رسول الله وبين خيبر

ونزل النبي خيبر ليلاً فبات حتى أصبح ، فإذا اليهود قد خرجوا بمساحيقهم ومكاتيلهم فلما رأوه والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه فأدبروا هرباً ، فقال النبي الله أكبر ، خربت خيبر ، أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين

وتدنى رسول الله الأموال بأخذها مالا مالا وحصناً حصناً فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه منه رجا فقتلته ، ثم القموص حصن بني أبي الحقيق ، وأصاب النبي

منهم سبايا منهم صفية بنت حيى بن أخطب وكانت عند أحد بنى أبى الحقيق
فاصطفاهَا الرسول لنفسه وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين
ثم جعل الرسول يتدنى الحصون والأموال حتى فتح حصن
الصعب وما بخيبر حصن كان أكثر طعنا وودكا منه - ثم انتهى الى
الوطيح والسلام وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتحا فحاصر من فيها
رسول الله بضع عشرة ليلة

وخرج مرحب اليهودى وقد جمع سلاحه وقال هل من مبارز
فقال النبى : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله ، أنا والله
الموتور الثائر ، قتل أخى بالأُمس ، فقال : قم اليه ودعاه ، فلما
دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة فجعل أحدهما يلوذ بها من
صاحبه ، وكلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها حتى برز كل
واحد منهما لصاحبه وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ، ثم حمل
مرحب على ابن مسلمة فضربه فأتقاه بالدركة فوق سيفه فيها فعضت به
فامسكته فضربه محمد فقتله

وخرج ياسر أخو مرحب وهو يقول : هل من مبارز ؟ فبرز اليه
الزبير بن العوام فقتله ، وأتى رسول الله بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق
زوج صفية ، وكان عنه مده كنز بنى النضير فسأله عنه فجحد أن يكون
يعرف مكانه ، فقال له النبى أرأيت إن وجدناه عندك ، أقتلك ؟ قال نعم ،
وجاء رجل من اليهود فدل الرسول على مكان الكنز فوجدوا منه
شيئا فسألوه عن الباقي فأنكر ، وعذبوه فلم يقر فدفعه الرسول الى
محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود

ولما أبقن أهل الوطيح والسلام الهلاك من شدة الحصار وطوله
سألوا الرسول أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم ففعل، فنزلوا على ذلك،
ولما تزلوا طلبوا إلى الرسول أن يعاملهم في الأموال على النصف
وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها، فصالحهم رسول الله على النصف
على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم

ولما سمع أهل فدك بما صنعوا بعثوا إلى رسول الله فسألوه أن
يصالحهم على مثل هذا الصلح ففعل، وصار نصف خيبر فينا للمسلمين،
ونصف فدك خالصا للنبي اذ لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب،
يصرف النبي مما يأتيه منها على أبناء السبيل ولم يزل أهلها بها حتى
استغلف عمر فاجلى اليهود عن الحجاز

أما استبقاء اليهود في أموالهم يدبرون أمورهم بقاسمهم المسلمون
ورسولهم على النصف، فتدبير محكم الأطراف، سره أن المسلمين
لا يستطيعون أن يقوموا مقام اليهود في مزاوله ما يزاولون، ولو أنه
وكل اليهم القيام بذلك ما كانوا ليغلوا من هذه الأموال ما يغله اليهود
منها، على أن الرسول في حاجة إلى الرجال في ذلك الوقت ليدفع عن
دعوته ما تعرض له من الأخطار، على أن الرسول قد احتاط فجعل
أمر اليهود إليه ان شاء أبقاهاهم وان شاء أخرجهم

وفي خيبر أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة
مصلية مسمومة إلى رسول الله، فأكل منها هو وبشر بن البراء بن
معرور، فأساغ الأكل بشرفات، ولم يسغه رسول الله فنجبا، ثم جرى
بالمرأة فاعترفت، فقيل لها: ما حملك على ذلك؟ قالت بلغت من قومي

مالا يخفى عليك . فقلتُ ان كان ملكا استرحمت منه ، وان كان نبيا
فسيخبر فتجاوز عنها .

ولما فرغوا من خيبر انصرفوا الى وادي القرى فحاصروا عليها ليالي ،
فاقتحمه عنوة وترك الخيل والأرض في أيدي أهل الوادي ، وعاملهم
نحو ما عامل أهل خيبر فبقوا كذلك الى أن أجلاهم عمر

وقد شهد خيبر مع رسول الله نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن
من الفء ولم يضرب لهن بسهم ، وكن قد طلبن اليه أن يخرجن معه الى
خيبر لمداواة الجرحى واعانة المسلمين بما يستطعن فقال لهن على بركة الله
ولما عاد رسول الله الى المدينة جاءه الحجاج السلمي . وقال له : ان لي
بمكة أموالا فأذن لي فأذن له فقال لا بد لي من أن أقول ، قال قل ، فلما
ورد مكة ولم يكونوا قد علموا باسلامه ، وعلموا بمسير الرسول الى خيبر
سألوه فقال عندي من الخبر ما يسركم فقالوا ابد يا حجاج اقال هزم هزيمة
لم تسمعوا بمثلها قط . وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد
أسرا ، وقالوا لا تقتله حتي نبعث به الى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن
كان من رجالهم ، ففرحوا به . هذا الحديث برهته فقال لهم : أعيوني على
جمع مالي بمكة حتي أعود الى خيبر فاصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن
يسبقني النجار الى ما هنالك ، فقاموا فجمعوه له

وسمع العباس الخبر فجاء الى الحجاج فأخبره أنها خديعة ، وما
جئت إلا لأخذ مالي فرقا من أن اغلب عليه ، ثم حدثه بالصحيح من
أخبار الرسول في خيبر وما حوّلها ، وقال له : اكتم عني فاذا مضت ثلاث
فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب ، والله لقد تركت ابن أخيك عروسا

على بنت ملكهم يعني صفية فلما انقضت الثلاث أخبر العباس قريشا
فأسفوا وما أنشبوا أن جاءهم الخبر بذلك

هذا أما غنائم خيبر فقد قسمت كما هي العادة في قسم الغنائم وأما
أرضها فقد قسمها النبي بين من حضرها من أهل الحديبية ، وكانت
الكتيبة خمس الله وسهم النبي وسهم ذوى القربى واليتامي والمساكين ،
وطعم لزوج رسول الله وطعم رجال مشوا بين الرسول وبين أهل فدك
في الصلح — وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من الصحابة ألفا
وثمنامائة سهم برجالهم وخيالهم : الرجال ألف واربعمائة والخيال مائتا فرس

قدوم جعفر ومهاجرة الحبشة

وبوم فتح خيبر قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة على رسول الله
فقبله بين عينيه وأكرمه وقال : ما أدري بأبها أنا أسر ، بفتح خيبر أم
بقدوم جعفر ؟ وقدم معه عدد كبير من الذين كانوا قد هاجروا الى الحبشة
لأن رسول الله بعث فيهم الى النجاشى عمرو بن أمية الضمري فحملهم
في سفينتين فقدم بهم على النبي وهو بنخبيبر بعد الحديبية ، ومنهم خالد بن
سعيد بن العاص وامرأته وابناه سعيد بن خالد وأمة بنت خالد ، وأخوه
عمرو بن سعيد ، وأبو موسى الأشعرى وغيره وكانوا جميعا ستة عشر رجلا

عمرة القضاء

ولما رجع رسول الله من خيبر الى المدينة أقام بها شهرى ربيع
وجاديين ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا يبعث فيما بين ذلك من غزوة

سراياه ، ثم خرج في ذي القعدة سنة ٧ ، في الشهر الذي صده فيه المشركون ، معتمرا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدود عنها ويقال لها عمرة القصاص لأن الرسول اقتصر منهم فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه

وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه في عسرة وجهد وشدة ، وصفوا له عند دار الندوة لينظروا اليه وإلى أصحابه ، فلما دخل الرسول المسجد اضطجع بردائه وأخرج عضده اليمنى ، وقال رحم الله امراً أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه — وأقام النبي بمكة ثلاثاً تزوج في خلالها وهو محرم ميمونة بنت الحارث ، فجاءه حويطب بن عبد المزي في نفر من قريش وكانت قد وكلته بإخراج النبي من مكة ، فقالوا له : انه قد اتفق على أجلك فاخرج عنا ، فقال لهم : وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتهم ؟ فقالوا : لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا ، فخرج النبي وانصرف إلى المدينة ، فأنزل الله عليه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، الآية)

غزوة مؤتة

وهي من أرض البلقاء بالشام وكان غزوها في جمادى الأولى سنة ثمان ، بعث رسول الله بعثه اليها واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فان أصيب جعفر فعبدة الله

ابن رواحة على الناس ، فتجهز الناس واستعدوا للخروج وكانوا ثلاثة
آلاف ، فحضر النبي خروجهم وودعهم ودعا لهم وعاد ، فساروا حتى
نزّلوا معان فبلغهم أن هرقل قد نزل مؤاب من أرض البلقاء في مائة
الف من الروم وانضم اليهم من لحم وجذام والقيين وبهراو بلي مائة الف
عليهم رجل من بلي — فلما بلغ المسلمين الأمر ، أقاموا على معان ليلتين
يفكرون في أمرهم وقالوا أنكذب الى رسول الله فنخبره بعدد عدونا ،
فأما أن يمدنا بالرجال ، ولما أن يأمرنا بأمره فنمضي له ؟ فشجع الناس
ابن رواحة وقال : والله يا قوم ان التي تسكرهون لاني خرجتم اياها
تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ولا
نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فانها هي لاحدي
الحسينين : اما ظهور واما شهادة ، فقال الناس : صدق والله وساروا معه
فألقاهم جموع الروم والعرب بقربة يقال لها مشارف ، وانحاز المسلمون
الى مؤتة فدنا منهم العدو ، والتقى الناس عندها فتعصبى لهم المسلمون ثم
التقوا واقتتلوا فقاتل زيد براءة النبي حتى شاط في رماح القوم ، ثم
أخذها جعفر فقاتل بها حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرسه وقاتل حتى
قتل ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة — فأخذ الراية عبد الله بن رواحة
الحزرجي وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل ، فأخذ الراية أحد بني
المجلاّن وقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا أنت
قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع
القوم وخاضى بهم (حاجزهم) ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف الناس ،
وعاد المهادون الى المدينة وقد اصابوا فلما دنوا تلقاهم رسول الله

والمسلمون فجعل الناس يحثون عليهم التراب ويقولون يا فرار فررتهم
في سبيل الله فيقول النبي ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان
شاء الله تعالى

هذا وقد جاء الخبر من السماء الى رسول الله بصورة هذه الكارثة
فحدث الناس بها قبل قدوم خالد ، وقد لقب خالد في حديثه بسيف الله
فأطلق الناس منذ ذلك هذا اللقب عليه

مكاتبة الملوك

لما عقد رسول الله الهدنة مع قريش شرع يبلغ ما أنزل اليه من ربه ،
فكتب الى الملوك ومن على شاكلتهم بدعوهم الى الاسلام والتصديق
بنبوته وأن الله أرسله للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ويحذرهم عاقبة العناد ،
وأن عليهم وحدهم إثم رعاياهم اذا لم يستجيبوا لله وللرسول
فأرسل حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس بمصر ، وشجاع بن وهب
الى الحرث الغساني ، ودحية الكلبي الى قيصر ، وسليط بن عمرو
العامري الى هوذة الحنفي ، وعبد الله بن حذافة الى كسرى ، وعمرو بن
أمية الضمري الى النجاشي ، والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى ،
فأما المقوقس فانه قبل كتاب النبي وأهدى اليه أربع جوار منهن
مارية أم ابراهيم بن رسول الله وأما قيصر فقبل الكتاب وتريث حتى
يكتب الى رجل من أهل الكتب برومية يسأله عن شأن النبي فلما
جاءه الخبر منه بأنه النبي الذي كنا ننتظره فصدقه ، قيل إنه جمع بطارقة

الروم وأشرف عليهم فقال : انه جاء في كتاب هذا الرجل يدعوني الى دينه وأنه النبي الذي نجاه في كتبنا فلم فلنتبعه ونصدقته - فرفضوا وتولوا مدبرين - فقال : ردوهم وخافهم على نفسه ، وقال لهم : انما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، وقد رأيت منكم ما سرني ، فانطلقوا

وكان كتاب النبي الى قيصر وهو هرقل : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتلك الله أجره مرتين وان توليت فان اثم الاكارين (العامة) عليك

وأما النجاشي فانه قال من ينزع ملكي مني ، أنا سائر اليه وأما النجاشي فانه لما جاءه الكتاب آمن وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب ، وأرسل اليه ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر ، وأرسل اليه رسول الله ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت من مهاجرة الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر ومات هنالك ، فخطبها النجاشي الى النبي فأجاب وأصدقها النجاشي أربع مائة دينار ، فلما سمع أبو سفيان قال : ذاك الفعل لا يقدر أنفه

وأما كسرى فمزق الكتاب وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، واني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، وان توليت فان اثم الجوس عليك.

وقال كسرى يكتب الى بهذا وهو عبيدى؟ وكتب الى باذان وهو باليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتيا نى به ، فبعث باذان رجلين وكتب معهما يأمر النبى بالمسير الى كسرى ، وتقدم الى احدهما ان يأتيه بخبر النبى ، وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل - فلما قدما على رسول الله فاعلماه بما قدماه وحذراء عاقبة الرفض اثلا يهلكه كسرى ويهلك قومه - فاخبرهما أن الله ساط على كسرى ابنه شيرون فقتله ، وأمرها أن يعودا ويقولوا لباذان أسلم ، فان أسلم إقره على ما تحت يده وأملكه على قومه ، فما أخبراه الخبر حتى قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وأنه قتله غضبا للفرس لما استحل من قتل اشرافهم ويأمره باخذ الطاعة له باليمن وبالكف عن النبى ، فلم يلبث باذان أن أسلم وأسلم معه أبناء من فارس

وأما هودذة الحنفي وهو ملك اليمامة فانه قال وكان نصرانيا : ان جمل الأمر لى من بعده أسلم ، وسرت اليه ونصرته ، والا قصدت حربته ، أرسل اليه بذلك رجلين فأسلما وأقام أحدهما عند رسول الله حتى قرأ سورة أو اكثر من القرآن ثم عاد الى اليمامة وكان يسمى الرجال أو الرجال بن عنقوة ، وشهد أن الرسول أشرك مسيلمة معه ، فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة

وبعد فقد بلغ الرسول رسالة ربه ، وما على الرسول الا البلاغ المبين ولكنه هنا قد بلغ الملوك لا الشعوب ، والحكمة فى ذلك واضحة من أن الملوك ومن على شاكلتهم من الرؤساء والقادة هم الذين اذا رسموا الى

الطريق خلة انبوهوا، واناسا لكر اطر بقا سالك الناس من واثم هذا الطريق، لأن الناس على دين ملوكهم، وهم أيضا الذين ينتظر أن يقوموا في وجه الدعوة لينحولوا بينها وبين شعوبهم حتى لا يعتنقوا الاسلام فيثوروا عليهم ويستنزلوهم من عروشهم ويجعلوهم معهم في مستوى واحد يصحون به تابعين بعد أن كانوا متبوعين، مأمورين بعد أن كانوا آمرين، ومن ذا الذي يرغب في تقويض دعائم ملكه، أو لا يتعرض الى من يقصد تحطيم بناء مجده؟ لذلك قصدهم الرسول بالكتابة وجعل التبعة في عدم وصول الدعوة الى شعوبهم واقعة عليهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

فتح مكة

والاسباب الموجبة المسير اليها وفتورها في رمضان سنة ثمان
أقام رسول الله بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجبا - ثم ان
بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة، عدت على خزاعة وهم على ماء لهم
بأسفل مكة يقال له الوثير.

وكان الذي هاج ما بين بكر وخزاعة أن رجلا من حلفاء بكر
خرج تاجرا فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله،
فعدت بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الاسلام
على بني بكر ثم جاء الاسلام فتشاغل الناس به - وفي صالح الحديبية
دخلت خزاعة في عقد رسول الله، ودخل بنو بكر في عقد قريش -
فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو الدبل من بنى بكر، وأرادوا أن يصيبوا
من خزاعة ثارا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم، فخرج نوفل بن معاوية

الدليل في بني الدليل وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بني بكر بإيمه حتى
بيدت خزاعة على الوثير فأصابوا منهم ، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح
وقاتلوا معهم بالليل مستخفين حتى جاوزوا خزاعة الحرم فقاتلوا بكر :
يا نوفل قد دخلنا الحرم ، الهك الهك ، فقال لاله له اليوم ، يا بني بكر
أصيبوا ثأركم ، انكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟

ولجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولاهم رافع - فلما
تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا ونقضوا
ما كان بينهم وبين الرسول من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة
وكانوا في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على
النبي بالمدينة فوقف وهو جالس بالمسجد بين ظهري الناس وقال .

يا رب اني ناشد محمد ا حلف أبينا وأبيه ألا تلتذا

الى آخر رجزه الذي جاء فيه أيضا

إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

فقال له رسول الله نصرت يا عمرو ، فكان ذلك مما حاج فتح مكة
ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على النبي
فأخبروه بما أصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا
راجعين الى مكة فلقى بهم أبو سفيان بعسفان قد بعثته قريش الى الرسول
ليشد المقد ويزيد في المدة ، وقد رهبوا الذي صنعوا فقال لبديل : من
أين أقبلت أو ماجئت محمدا ؟ فلم يصدقه فلما راح بديل الى مكة التمس
أبو سفيان مبرك راحلة بديل فأخذ من بعرها ففقه فرآى فيه النوي
فعلم أنه جاء محمدا صلى الله عليه وسلم ، فسار حتى قدم المدينة على ابنته

أم حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي طونه عنه فقال لها: أرغبت
 بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ قالت : هو فراش النبي وأنت
 رجل مشرك نجس ، قال والله لقد أصابك بعدى يابنية شر ، وخرج
 حتى أتى النبي فكلمه فلم يرد عليه شيئا ، فذهب الى أبي بكر ليسكون
 وسيطا فرفض وجاء عمر فقال له : والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به
 فدخل علي وعلى وعنده فاطمة وعندها الحسن بدب بين يديها فقال لعلي :
 اشفع لي الى رسول الله ، فقال لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع
 أن نكلمه فيه ، فالتفت الى فاطمة وطلب اليها أن تأمر ابنها فيجيز بين
 الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ، قالت : والله ما بلغ بنى ذلك
 أن يجيز بين الناس وما يجيز أحد على رسول الله ، فعاد الى علي حائرا
 يطلب النصيحة ، فقال : والله ما أعرف شيئا يغني عنك شيئا ، ولكنك
 سيد بنى كنانة فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك - قال أو ترى ذلك
 مغنيا عني شيئا ؟ قال لا والله ولكني لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان
 في المسجد فقال : أيها الناس اني قد اجرت بين الناس ، ثم ركب بغيره
 فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال جئت محمدا فكلمته
 فوالله ما رد علي شيئا ، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا ،
 ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم أتيت عليا فوجدته ألين
 القوم وقد أشار علي بشيء صنعتة فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئا ،
 قالوا وبم أمرك ؟ قال أمرني أن أجيز بين الناس ففعلت ، قالوا فهل جاز
 ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا وبلك ! والله أن زاد الرجل على أن لعب بك
 فما يغني عنك ما قلت ، قال . والله ما وجدت غير ذلك .

وأمر رسول الله الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه ، وأعلم الناس أنه سائر الى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، فتجهز الناس .

ولما أجمع الرسول المسير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه النبي ، وأعطاه امرأة من مزينة وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا فجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها وخرجت به ، وعلم رسول الله بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير فأدركا المرأة وهددها على فاستخرجت الكتاب فدفعته اليه . ولما عاد على صاحبه دعا النبي حاطبا فسأله فاعتذر عن فعلته بأنه أراد أن يصانع قريشا لأن له بين أظهرهم ولد ، فطلب عمرو أن يضرب عنقه ، فلم يجبه النبي لأن حاطبا من أصحاب بدر .

ثم مضى رسول الله لسفره اذ خرج لعشر مضين من رمضان فصام وصام الناس معه حتى اذا كان بالكعبد بين عثمان وابج أظفر فلما نزل النبي مر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش ، خرج في احدى الليالي أبو سفيان ومعه بديل بن ورقاء وحكيم بن حزام يتجسسون الأخبار ، وكان العباس قد لقي النبي ببعض الطريق فعاد معه ، ودخل على النبي أيضا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فالتمسا الدخول عليه فرفض ثم رق وأذن لهما فدخلا عليه وأسلما ثم ان العباس قال في نفسه : والله لئن دخل النبي مكة عنوة انه لهلك قريش الى آخر الدهر ، فجالس على بغلة رسول الله وقال أخرج لعل أرى حطابا أو رجلا يدخل مكة فيخبرهم .

به كان النبي فيأتونه وبستأمنونه، فبينما هو يسير اذ سمع صوت أبي سفيان
 ومن معه، وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط، ولا عسكرا،
 فيقول بدبل هذه والله خزاعة، فيقول أبو سفيان، خزاعة أقل وأذل
 من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها - فلما عرف العباس صوت
 أبي سفيان ناداه يا أبا حنظلة فعرف صوت العباس وقال: أبو الفضل،
 قال العباس نعم، قال مالك فذاك أبي وأمي؟ قال العباس: ويحك
 يا أبا سفيان هذا رسول الله في الناس، أناكم بعشرة قال فما الحيلة؟ قال والله
 لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك
 النبي فاستأمنه لك، فركب وخرج العباس به ورجع أصحابه، وكأما
 مر بنار من نيران المسلمين يقولون عم رسول الله على يدك رسول الله
 حتى مرا بنار عمر فقال: أبو سفيان؟ عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن
 منك بغير عقد ولا عهد، ثم اشتد نحو النبي وركضت البغلة فسبقت
 عمر، ودخل عمر على النبي فأخبره وسأله أن يضرب عنقه فقال العباس
 قد أجرته، فلما أكثر عمر في شأنه قال له العباس: مهلا يا عمر، فوالله
 لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من بني
 عبد مناف، فقال عمر: مهلا يا عباس فوالله لا سلامك يوم أسلمت،
 كان أحب إلى من اسلام الخطاب لو أسلم، فقال النبي قد أمناه حتى
 تغدو به بالمداة، فرجع به العباس ثم غدا به على النبي فلما رآه قال ويحك
 يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله الا الله، قال: بلى بأبي أنت
 وأمي، لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا، قال ويحك! ألم يأن لك
 أني رسول الله؟ قال: أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس

ويحك اشهد شهادة الحق قبل أن تضرب عنقك ! فتشهد وأسلم ،
ويقال أسلم معه صاحباه ، فقال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل
يحب الفخر فاجعل له ذكرا ، فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ،
ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب
لينصرف قال النبي للعباس احبسك عندك حتى تمر عليه جنود الله ،
فحبسه حتى أمرت القبائل برأياتها ، وهو يسأل عنها واحدة واحدة حتى
مرت الحضراء وهي كذبة رسول الله ، وفيها الأنصار والمهاجرون
لا يرى منها إلا الحدق من الحديد ، فسأل العباس عنها فأخبره فقال :
ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ،
فقال له : يا أبا سفيان إنما النبوة فقال نعم إذا ، ثم قال له ألحق بقومك ،
فجاء فصرخ يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، قالوا
فما قال ؟ قال من دخل داري فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ،
ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، يامعشر قريش أسدوا نسلوا ، فأتت
امراته هند بنت عتبة فأخذت بلعيتة وقالت : يا آل غالب اقتلوا هذا
الشيخ الأحمق فقال : أرسلني لحيتي وأقسم لئن لم نسلمي أنت لتضربن
عنقك ، أدخل بيتك ، فتركته

وتقدم رسول الله حتى نزل بذي طوى ومن هنالك فرق جيشه ،
فأمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من كداء بشمالا وأمر سعد بن عبادة
أن يدخل ببعض الناس من كُدى (بالشمال الشرقي) فقال سعد اليوم يوم
الملاحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، فسمعها أحد المهاجرين فأخبر النبي فقال لعلى

أدركه وخذ الراية منه فكان أنت الذي تدخل بها - وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة ، ودخل رسول الله مكة من أذاخر بأعلى مكة وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهل بن عمرو قد جمعوا ناسا بالخدمة شرقا ليقاتلوا - فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد نالوشوم شيئا من قتال ، وقتل المسلمون منهم اثني عشر رجلا فانهزموا ، وأقبل خالد بالمسلمين فقام في وجههم النساء المشركات يلطمن وجوه الخيل بالحر ، وكان النبي قد أمر أمراءه ألا يقتلوا أحدا إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد في نفر سيماهم ، أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وكانوا ثمانية رجال وأربع نسوة

ودخل الرسول وجنده مكة آمنا فلما اطمان الناس خرج فطاف بالبيت سبعا على راحلته ، ثم دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها فوجد بها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فهال وكبر وذكر الله كثيرا ثم قال ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداثة البيت وسقاية الحاج ، ثم قال ياه مشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء - ثم جاس للبيعة على الصفا وعمر بن الخطاب تحته واجتمع الناس لبيعة النبي على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، فلما فرغ من الرجال بايع النساء

وقد أمر رسول الله بطمس الصور التي على جدران الكعبة وتحطيم الأصنام التي حولها ، وكان ممن هدر دماء رسول الله

(١) عكرمة بن أبي جهل ، وكان يشبه أباہ في ابتداء رسول الله وعداوته والانفاق على محاربه فلما كان الفتح هرب الى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحرث فاستأمنت له وخرجت في طلبه فأدركته يريد ركوب البحر ، فذكرت اليه أن النبي آمنه فماد معها وأسلم

(٢) صفوان بن أمية بن خلف ، وكان أيضا شديدا على الرسول ، ثم فر الى جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا بني الله ان صفوان سيد قومه وقد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر ، فقال هو آمن ، قال عمير فاعطني آية يعرف بها أمانك فأعطاه النبي عمامته التي دخل بها مكة فأدركه عمير وطمأنه فرجع ، فلما وقف على رسول الله قال له ان هذا يزعم أنك أمنتني ، قال صدق ، قال فاجملني فيه بالخيار شهرين ، قال أنت بالخيار فيه أربعة أشهر فأقام معه كفرا ، وشهد معه حنيننا والطائف ثم أسلم وحسن اسلامه

(٣) عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي ، وكان قد أسلم وكتب الوحي الى النبي فكان اذا أُملي عليه (عزير حكيم) يكتب (عليه حكيم) وأشبه ذلك ، ثم ارتد وقال لقريش اني كنت أصرف محمدا في قرآنه ودينكم خير من دينه - فلما كان الفتح فر الى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة ، فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس وأحضره عند النبي وطلب له الأمان ، فصمت الرسول طويلا ثم آمنه فأسلم وعاد ، فلما انصرف قال النبي لأصحابه لقد صمت ليقبله أحدكم فقالوا : هلا أومات فقال ما كان للنبي أن يقتل بالاشارة ان الأنبياء لا يكون لهم خاتمة الأعين .

(٤) وحشى بن حرب قاتل حمزة هرب يوم الفتح الى الطائف ثم وفد في أهله على رسول الله مسلما

(٥) عبد الله بن الزبيري السهمي وكان يهجو رسول الله بمكة وبمعظم القول فيه فهرب يوم الفتح الى نجران ثم عاد الى رسول الله معتذرا فقبل عذره وأسلم

ومن النساء هند بنت عتبة أمر رسول الله بقتلها لفعالها في حمزة ، ولأنها كانت تؤذى رسول الله بمكة ، جاءت اليه مع النساء متنكرة فأسلمت وكسرت كل صنم في بيتها وأهدت الى رسول الله جديين واعتذرت من قلة ولادة غنمها فدعا لها بالبركة فيها فكثرت

وكان من حديثها عند وفودها على النبي في نسوة من قومها أنه قال لمن أتيا بعنني على الا تشركن بالله شيئا فقالت هند : انك والله لتأخذ علينا مالا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه ، قال ولا نسرقن ، فقالت : والله ان كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهبة والهبة ، فقال أبو سفيان وكان حاضرا ، أما ما مضى فأنت منه في حل ، فقال النبي أهند ؟ قالت : أنا هند فأعف عما سلف عفا الله عنك ، فقال : ولا تزني ، قالت وهل تزني الحرة ؟ قال ولا تقتلن أولادكن ، قالت ريدينا صفارا وقتلتهم يوم بدر كبارا فأنت وم أعلم ، قال ولانأتين بيهتان تفتريه بين أيديكن وأرجلكن قالت : والله إن لاتيان البهتان لقيبح ، وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ، قال ولا تمصينني في معروف ، فقالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك ، فقال النبي لعمر بابهن ، واستغفر لهن

غزو بني جذيمة

ولما تم فتح مكة بعث النبي ﷺ سراياه حول مكة يدعو إلى الله ولم يأمرهم بقتال وكان ممن معهم خالد بن الوليد ، فوطئ بني جذيمة بن عامر بن عبدمناة من كنانة ، وكانت جذيمة قد أصابت في الجاهلية عوفاً أباعبد الرحمن ابن عوف ، والفاكه بن المغيرة عم خالد ، فلما رأى خالد القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا ، فأصرهم خالد فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل ، فلما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء ، ثم قال اللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد ، ثم أرسل علياً وأمره أن ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والأموال ، حتى أنه ليدى مياغة الكعب ، وبقي معه من المال فضلة ، فقال لهم على هل بقي لكم مال أودم لم يود ؟ قالوا لا ، قال فاني أعطيك هذه البقية احتياطاً لرسول الله ، ثم رجع فأخبر النبي ﷺ فقال أصبت وأحسن

أما خالد فاعتذر بأن عبد الله بن حذافة أمره بذلك عن رسول الله ﷺ لا تتنازعهم عن الإسلام وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد مشادة في الأمر إذ قال له عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ، فقال خالد : إنما تأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن كذبت ، قد قتلت أنا قاتل أبي ولكم تأرت بعمك الفاكه ، حتى كان بينهما شر ، فنهى رسول الله ﷺ خالد عن الصحابة وانتهى بذلك الأمر ، وأرسل رسول الله ﷺ خالداً لخدم العزى بنخلة وكانت يدنا بعظمة هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من بني سليم خلفاء بني هاشم فلما انتهى إليها

هدمها ورجع الى النبي - ولو لم يكن راضيا عنه معتقدا صحة ما ذهب
اليه ما أرسله في هذا الوجه ولا في غيره .

هذا وقد قام النبي بعد فتح مكة سنة ثمان خمس عشرة ليلة
يقصر الصلاة .

غزوة حنين

كانت هذه الغزوة سنة ثمان بعد فتح مكة وتسمى أوطاس ، بالوضع
الذي كانت فيه شرقى مكة - وبيانها أنه لما سمعت هوازن بالنبي وما فتح
الله عليه من مكة جمها مالك بن عوف النضري فاجتمع اليه مع هوازن
تقيف كلها ، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وكان في بني جشم
دريد بن الصمخشيع كبير ليس له شيء الا التيمن برأيه ومعرفة بالحرب
وكان شيخا مجربا .

ولما أجمع مع مالك السير الى النبي خط مع الناس أموالهم ونساءهم
وأبناءهم فأنكر عليه دريد وقال أين مالك ؟ قيل هذا مالك ، فقال له :
يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك ، وان هذا يوم كائن له ما بعده من
الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويغار النساء ؟
قال سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، أردت أن أجعل خائف
كل رجل منهم أهله وقال ليقاتل عنهم ، فقال في سخط : وهل يرد المهزم
شيء ! لأنها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت
عليك فضحت في أهلك ومالك : ثم نصحه فلم ينفع فيه النصح ، وقال
والله لا أفعل ذلك انك قد كبرت وكبر عقلك ، وهدد هوازن بأن ينتحر

إذا لم يطيعوه ، كره أن يكون لديهم فيها ذكر فقالوا أطلعناك
فلما سمع النبي أرسل اليهم من يجيئه بنجرهم فعاد اليه بأنهم اجتمعوا
له فأجمع المسير اليهم ، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرا وسلاحا ،
وهو يومئذ مشرك فاستعارها منه النبي فأعاره مائة درع بما يكفيها من
السلاح ، وطلب منه أن يكفيهم حملها ففعل - وخرج النبي ومعه ألفان
من أهل مكة مع عشرة آلاف من الصحابة ومضى يريد لقاء هوازن -
قال جابر بن عبد الله : فلما استقبلنا وادى حنين أنحدرنا في واد من أودية
تهامة أجوف ذي خطوط انما تتحدر فيه أنحدارا ، وكان في عمابة الصبح ،
وكان القوم قد سبقونا الى الوادي فكمنوا لنا في شعابه واخائنه ومضايقه ،
وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله مارا عنا ونحن منحطون الا الكتاب
قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين لا يلوى أحد
الى أحد ، وانحاز النبي ذات اليمين ثم قال أين أيها الناس ، هلوا الى ،
أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله - فلا شيء ، حملت الابل بعضها
على بعض فانطلق الناس الا أنه قد بقي مع النبي نفر من المهاجرين
والأنصار وأهل بيته

فلما انهزم الناس ورأى من كان معه من جفأة أهل مكة الهزيمة ،
تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان : لا تنتهي
هزيمتهم دون البحر - وصرخ جبلة أخو صفوان بن أمية لأمه وهو
مشرك : ألا بطل السحر اليوم ، فانهزه صفوان وشتمه .

وأراد أحد بني عبد الدار قتل النبي في هذه الفرصة أخذا بشار
أبيه الذي قتل يوم أحد فلم يطق ، ويقال أن النبي حين فصل من مكة

ورأى كثرة من معه قال : إن تغلب اليوم من قلة ، ويقال أن الذي قالها رجل من بني بكر .

فلما رأى النبي أن الناس لم يعودوا قال يا عباس اصرخ بامعشر الانصار بامعشر أصحاب السمرية ، فأجابوا ليك ليك ، فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويحلى سبيله فيؤم الصوت حتى ياتى الى النبي ، فلما اجتمع له منهم مائة استبسلوا وقائلوا القوم ورسول الله ينظر الى مجتهد القوم وهم يجتهدون فقال الآن حمى الوطيس (ثم أنزل الله سكينته على رسوله على المؤمنين وأنزل جنودا لم نروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) فما هو الا أن هزم الله للمعركين وأمكن رسول الله منهم

ورب قائل ما شأن هذه الاغاثة من الله (ولو شاء الله لاتصر منهم) ولما دعا الى هذه النماء التي تراق والجواب بتبيين من قوله تعالى (ولكن ليلو بعضهم ببعض) وقوله في آية أخرى (ولتبلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين) وكفى .

وكانت راية أخلاف هوازن مع قارب بن الاسود فلما انهزموا أسندوها الى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه فلم يقتل منهم الا رجلين يقال لأحدهما الجلاح فقال النبي حين بلغه قتله ، اليوم قتل سيد شباب ثقيف الا ما كان من أبين هنيده وهو الحرث بن أويس

ولما انهزم المشركون في حنين أنوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وحاصر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة ، فتبعته خيل النبي من

سلك في نخلة ، وأدرك دريد بن الصمة وقتل قتله أحد بني سليم
ثم بعث النبي في آثار من توجه قبل أو طاس أبا عامر الأشعري فأدرك
من الناس بعض من انهزم فناوشوه القتال فقتل أبو عامر فأخذ الرابعة
ابن عمه أبو موسى الأشعري فقاتلهم ففتح الله على يديه وهزمهم
وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه
على ثنية الطريق وقال لأصحابه قفوا حتى نغضى صفناؤكم ويلحق
أخراكم فانهى الزبير بن العوام الى أصل الثنية فصمد لهم فلم يزل يطاعنهم
حتى أراحهم عنها

ومر النبي بامرأة قد قتلها خالد بن الوليد فقال لبعض من معه :
أدرك خالدًا فقل له ان رسول الله ينهك ان تقتل وليدًا او امرأة
أو عسيفًا

وسمى رجل من بني سعد بن بكر فساقه الناس في أهله وساقوا
معه الشياه بذت الحرث بن عبد العزي أخت النبي من الرضاع فعرفتهم
هذه الصلة فلم يصدقوها حتى أنوابها النبي فقالت له اني أختك من
الرضاع وأرته علامة صدقها ، فبسط لها النبي رداءه وأجلسها عليه
وخبرها وقال : ان أحببت فعندي محبة كريمة ، وان أحببت ان امتلك
وترجعى الى قومك فعلت ، قالت بل تمتعنى وتردنى الى قومي ، فتمتعها
وردها الى قومها

ثم جمعت الى رسول الله سبابة حنين وأموالها فأمر بها الى الجعرانية
فحبست بها

غزوة الطائف

لما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال ولم يشهد حنيننا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة ، كان بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور ، فالدبابة من آلة الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون الى الاسوار لينقبوها ، والضبور مثل رءوس الاسفاط يتقى بها في الحرب عند الانصراف ، والجوانيق معروفة وهي كالجوالق يرمي بما يكون فيها من حجارة أو نبط

وسار رسول الله الى ثقيف بالطائف وأمر بمحصن مالك بن عوف فهدمه ثم مضى حتى نزل قريبا من الطائف فضرب بها عسكره ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لقرب العسكر من حائط الطائف ولم يقدر المسلمون على اقتحام الحائط عليهم لأنهم أغلقوه دونهم ورموهم فتباعد النبي بالعسكر قليلا وحاصر أهل الطائف بضعا وعشرين ليلة - ورامم بالمنجنيق ، ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة ثم زحفوا بها الى جدار الطائف ليخرقوه فأرسلت عليهم ثقيف سمك محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا - فأمر صلى الله عليه وسلم النبي بقطع أعقاب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون

وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة الى الطائف فناديا ثقيفا أن آمنونا حتى نكلمكم فأمنوها وأرادوا ارسال نساء من قريش وكنانة ليخرجن اليهما فأبين ومنهن آمنة بنت أبي سفيان وكانت عند

عروة بن مسعود

فكلمهما الأسود بن مسعود في أموال بنييه وقال لهما أن مال بني
الأسود بن مسعود حيث قد علمتما (وكان النبي بوادي العقيق بين المال
وبين الطائف) انه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ولا أشد مئونة ولا
أبعد عمارة من مال بني الاسود وان محمدا ان قطعه لم يعمر أبدا ، فكلماه
فليأخذ نفسه أو يئده الله والرحم فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يجهل ،
فتركه لهم .

ثم جاء رسول الله الوحي من السماء بالانصراف عن الطائف بعد
حكاية لابس بسردها وهى ، أن خويلة بنت حكيم بن أمية السلية
امراة عثمان بن مظعون قالت : يا رسول الله أعطني ان فتح الله عليك حلى
بادية بنت غيلان الثقفي أو الفارعة بنت عقيل وكاتنا من أحلى نساء
ثقيف فقال لها : وان كان لم يؤذن لى في ثقيف ياخويلة فخرجت فذكرت
ذلك لعمر فدخل فسأل رسول الله عما نقوله خويلة ، فقال قد قلت قال
أوما أذن لك فيهم ، قال : لا ، قال : أفلا أؤذن في الرحيل ، قال : بلى ، فأذن
عمر بالرحيل فرحل الناس مع النبي بعد القتال والحصار الى الجعرانة -
وقال له رجل من أصحابه يوم ظمن : يا رسول الله ادع عليهم فقال صلى
الله عليه وسلم : « اللهم اهد ثقيفا وائت بهم »

أموال هوازن وسبائها

لما نزل النبي الجعرانة فيمن معه من الناس ومعه من هوازن سبي
كثير ، ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاة ما لا يدرى

ما عدته ، فجاءه وقد هوازن وقد أسلموا ، فقالوا يا رسول الله : أنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامن علينا من الله عليك ، ثم قام رجل منهم فقال يا رسول الله انما في الخطائر عمارتك وخالانك وحواضتك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ملحننا ^(١) للحرث بن أبي شمر أول للنعمان بن النذر ثم نزل بنا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائده علينا وأنت خير المسلمين

فقال لهم النبي : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم ؟ فقالوا بل ترد أبناؤنا ونساءنا فهو أحب إلينا ، فقال لهم : أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو ليكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا : أنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فساء عظيمكم عند ذلك وأسأل لكم ففعلوا فتنازل رسول الله عما له ولبنى عبد المطلب فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ، فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة بن حصن وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا ، فقال بنو سليم بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله فقال عباس وهنتموني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فإله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه ، فردوا إلى الناس أبنائهم ونساءهم ففعلوا حتى عيينة بن حصن . وقال النبي لو فد هوازن وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل فقالوا هو بالطائف مع ثقيف ، فقال أخبروه أنه إن أتاني مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته

مائة من الابل فأثنى من الطائف وقد خاف من ثقيف أن يحبسوه إذا
علموا أن النبي قال في شأنه ما قال فخرج ليلا على فرسه وأدرك رسول
الله بالجعرانة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل وأسلم
تَحَسُنَ إسلامه

ولما فرغ النبي من رد سبأيا حنين إلى أهلها ركب واتبعه الناس
يقولون يا رسول الله اقسم علينا فيئتنا من الابل والغنم ، فما زالوا به حتى
رضى فأعطى المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافا من أشراف الناس يتألفهم
ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أباسفديان بن حرب مائة بعير وكذلك
الحزث بن كلدة من بني عبد الدار والحزث بن هشام وسهيل بن عمرو
والاقرع بن حابس ومالك بن عوف وصفوان بن أمية وعيينة بن
حصن ، ثم أعطى آخرين دون المائة ، وأعطى عباس بن مرداس
أباعر فسخطها وعاب النبي فيها بقصيدة فقال رسول الله : أذهبوا به
فاقطموا غنى لسانه فاعطوه حتى رضى فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر
به رسول الله

وقال قائل للنبي : أعطيت عيينة والاقرع مائة وترك جعيل بن
سراقة الضمرى ، فقال تألفتها ليسلموا وولت جعيل بن سراقة إلى إسلامه
وجاء ذو الحويصرة التميمي فوقف على النبي وهو يعطى الناس فقال
لم أراك عدت فغضب النبي واستأذن عمر في قتله فنهاه النبي وقال دعه فإنه سيكون

له شيعية يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية
فظهر صدق هذا الحديث في الخوارج فكان بدوهم من ذي الحويصرة

ولما أعطى الرسول ما أعطى في قريش وقبائل العرب ولم يعط
 إلا نصار شيئا قال حسان من قصيدة يعانبه فيها
 علام ترعي سليم وهي نازحة قدام قوم هم آوواهم نصروا
 سهام الله أنصارا بنصرهم دين الهدى وعوان الحرب تستعر
 ووجد الانصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة وقال قائلهم: لقي
 والله رسول الله قومه

ودخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله ان هذا الحي من
 الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفء الذي أصبت ،
 قال فابن أنت من ذلك يا سعد؟ قال يا رسول الله ما أنا الا من قومي، قال
 فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فأتاهم رسول الله فحمد الله وأثنى عليه
 ثم قال يا معشر الانصار ما قاله بلغتنى عنكم، ورجدة وجدتموها على في
 أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأنعم الله، واعداء فألف الله
 بين قلوبكم؟ قالو: بل الله ورسوله أمن وأفضل، قال الاتجيبوني يا معشر
 الانصار قالو بماذا نجيبك يا رسول الله؟ قال: أم والله لو شئتم لقلتم فاصدقم
 أنبتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فأوينناك وعائلا
 فأسينناك، أوجدتم يا معشر الانصار في أنفسكم في لعاعة من الديننا تألفت
 بها قوما ليسلوا، ووكلتكم الى اسلامكم؟ الا ترضون يا معشر الانصار
 أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الى رحالكم؟ فو الذي
 نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار، ولو سلك الناس شعبا
 وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء
 الانصار فبكي القوم حتى أخضلو الحاهم وقالوا: ارضينا برسول الله قسما وحظا

وانصرف رسول الله من الجمرانة معمرا وأمر بحبس الفتي وبناحية
مر الظهران حتى أتم عمرته وخرج راجعا الى المدينة واستخلف على مكة
عتاب بن أسيد وجعل رزقه كل يوم درهما فخطب في الناس فقال : أجاع
الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله درهما كل يوم
فليست بي حاجة الى أحد

وقدم رسول الله المدينة لست بقين من ذى القعدة وأقام أهل الطائف
على شركهم وأمتناعهم في طائفهم الى شهر رمضان من سنة تسع

اسلام كعب بن زهير

لما قدم النبي من الطائف كتب بحير بن زهير الى أخيه كعب يخبره
أن الرسول قتل رجلا بمكة ممن كان يهجو ويؤذيه وان من بقي من
شعراء قريش قد هربوا في كل وجه ، فان كانت لك في نفسك حاجة
فطر الى رسول الله فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، وان أنت لم تفعل
فانج الى نجائك من الأرض ، فكتب كعب الى أخيه يؤنبه على اتباعه
النبي فلم يعم بحير أن أخبر النبي وكتب الى كعب قصيدته التي منها
من مبلغ كعبا فهل لك في التي تلوم عليها باطلا وهي أحزم
الى الله لا العزي ولا اللات وحده فتنجوا اذا كان النجاء وتسلم

فاما وصل كتاب بحير الى كعب ضاقت به الارض وأشفق على
نفسه وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقالوا هو مقتول فلما
لم يجد بدا قال قصيدته بانث سعاد وخرج حتى قدم المدينة فنزل على

رجل من جهينة كانت بيده وبيده معرفة فغدا به الى رسول الله حين صلى رسول الله الصبح فصلى معه ثم أشار له الى الرسول وقال : قم اليه فاستأمنه ، فقام فوضع يده في يد النبي فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تألبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئت بك به فقال رسول الله نعم ، فقال أنا يا رسول الله كعب بن زهير فوثب عليه رجل من الانصار وقال : يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول الله عنه فانه قد جاء تألبا نازعا عما كان عليه - فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الانبياء

وقال قصيدته بعد قدومه على رسول الله المدينة وخص فيها المهاجرين بمدحته فغضبت الانصار فقال بعد ان أسلم فيهم قصيدته التي أولها من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحى الانصار ورثوا المكارم كابرا عن كابر أن الخيار همو بنو الأخيار يمدحهم وبذكر بلاءهم مع رسول الله وموضعهم من اليمن

غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك سنة تسع ، وبيانها أن رسول الله أقام بالمدينة بعد عودته من الطائف الى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر ، وجذب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، وبكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه - وكان رسول الله قلما يخرج في

غزوة الأكي عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصد إليه إلا ما كان من غزوة تبوك فانه يذنها للناس ، لبعده الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يصد إليه ليتأهب الناس لذلك أهبطه

فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم انه يريد الروم وأخذ يستعد وقال للجد بن قيس : هل لك العام في جلاد بنى الاصفر ، فقال يا رسول الله ائذن لى ولا تفتنى ، يريد أن يتخلف لئلا يفتن بنساء الروم وليس ذلك به - وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر

وبلغ النبي أن قوما من المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود يثبطون الناس ، فأمر بأن يحرق عليهم ، ثم جد النبي في سفره وأمر الناس بالجهاز ، وحض أهل الفنى على النفقة والحلان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الفنى واحتسبوا ، وانفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلاً

وجاء سبعة نفر من الانصار وغيرهم وهم البكاهون وكانوا أهل حاجة فاستحملوا فقال لهم : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون .

ثم جاءه المعذرون من الاعراب فاعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى ، وممن بنى غفار ثم استتب برسول الله سفره وأجمع السير ، وأبطأت بمجاعة من أصحابه نيتهم فتخلفوا من غير شك ولا ارتياب ، وكانوا نفر صدق لا يهتمون في اسلامهم : أما النبي فخرج وعسكر في ثنية الوداع

وخرج مع النبي عبد الله بن أبي في عسكر منفردا ، ولم يك أقل
 العسكرين فلما سار رسول الله تخلف عنه في المنافقين وأهل الريب
 أما علي بن أبي طالب فقد تخلف بأمر النبي على أهله فأرجف
 به المنافقون ، وقالوا ما خلفه إلا استئقالاته وتخففا منه ، فسارع إلى رسول
 الله وأخبره بما يقول المنافقون في شأنه ، فقال له : ارجع فاخلفني في أهلي
 وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون نبي بمنزلة هرون من موسى إلا أنه
 لا نبي بعدي ؟ فرجع

وسار رسول الله ولحق به في الطريق وفي تبوك من كان قد أبطأ
 عن مرافقته من أصحابه المخلصين ، ونهى النبي أصحابه عن أن يشربوا من
 مياه الحجر أو يتوضئوا منه للصلاة . وإن عجنوا بمائها فليجعلوه علفا
 للماشية ، وربما كان ذلك منه لأن ماء الحجر يطول مكثه في عيونه فهو
 آسن موبوء

ثم نهام أن يدخلوا بيوت هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم إلا وهم باكون
 لئلا يصيبهم مثل ما أصابهم ، ومضى رسول الله فجعل يتخلف عنه الرجل
 فيقولون له تخلف فلان فيقول : دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله
 بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله قد
 تخلف أبو ذر وأبطأ بعيره ، وكان أبو ذر لما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه
 فحملة على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر الرسول ماشيا ، وتزل رسول الله في
 بعض منازلهم ، فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا الرجل
 يمشي على الطريق وحده ... فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو
 والله أبو ذر فقال : رحم الله أبذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ،

ثم انتهى رسول الله الى تبوك فأتى بمحنة بن ربيعة صاحب أيلة فصالحه على الجزية . وكتب لهم كتابا ، ويظهر أن تبوك كانت من توابع أيلة وكذلك صالحه أهل جرباه وأذرخ

أكيدر دومة الجندل

ثم أرسل رسول الله خالد بن الوليد الى أكيدر دومة الجندل ، وهو رجل من كندة كان ملكا عليها هو وآخر ، وكان نصرانيا ، فلقبه خالد في خيل النبي ومعه أخاه خالد بن حسان في نفر من أهل بيته قد خرجوا لصيد البقر ، فأخذوه وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قباء من ديباج مخصوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به الى النبي قبل قدومه با أكيدر عليه ، فلما قدم خالد به على الرسول حقن له دمه وصالحه على الجزية ثم خلى سبيله فرجع الى قريته ثم نقص بعد وفاة رسول الله ، فتمكن له شأن مع خالد وعياض ابن غنم عند فتح العراق

ثم أقام رسول الله بتبوك بضع عشرة ليلة وانصرف الى المدينة

مسجد الضرار

ولما نزل رسول الله بذي أوان وهي بلد بينة وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب المسجد قد أتوه وهو يجهز الى تبوك فقالوا بنيينا مسجد الذي العلة والميلة المأيرة ، وانا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال انى على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فقال الى اثنين من أصحابه

انطلق الى هذا المسجد الظالم أهله فاعاد ساء و حرقه فنهلا، ونزل فيه قوله تعالى
«والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا
لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله
يشهد أنهم لكاذبون»

بغية حديث نبوك

ولما عاد رسول الله وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين، وتخلف
عنه ثلاثة رهط من المسلمين من غير شك ولا نفاق فصفع عن المنافقين
وقال لأصحابه: لا تكلمن أحدا من هؤلاء الثلاثة، فاعتزلهم المسلمون وتغيروا
لهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضائق عليهم أنفسهم، وظنوا
ألا ملجأ من الله إلا إليه، وقد ظلوا في ذلك خمسين ليلة حتى آذن رسول
الله للناس بتوبة الله عليهم وذهب الناس يبشرونهم

امر ثقيف واسلامها

وقدم النبي من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر
وفد ثقيف،

وكان من حديثهم أن رسول الله لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة
ابن مسعود قبل أن يصل المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالاسلام
فقال له: انهم قاتلوك، إذ عرف أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم،
فقال عروة: انا أحب اليهم من أبكارهم، وكان فيهم محببا مطاعا، فخرج
يدعو قومه إلى الاسلام رجاء ألا يخالفوه لمنزلة فيهم، فلما أشرف لهم على

علية له وقد دعاهم الى اسلام وأظهر لهم دينه ، رموه بالنيل من كل وجه
فأصابهم فقتله ، وقيل لدماري في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها
وشهادة ساقها الله الى ، فليس في الأما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول
الله قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشعرا ثم أنهم اتفقوا بينهم ورأوا
أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا ، وقال
بعض ثقيف لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم
أحد الا اقتطع ، وأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله رجلا كما أرسلوا عروة
فسكرموا عبد ياليل بن عمرو ، وكان من سن عروة فأبى وخشى أن يصنع
به اذا رجع كما صنع بعروة فقال : است فاعلا حتى ترسلوا معي رجلا ،
فاجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك فيكونوا
سنة ، فخرج بهم عبد ياليل وهو نائب القوم وصاحب أمرهم ، وإنما خرج
بهم لكي يشغل كل رجل منهم اذ رجعوا الى الطائف رهطه ، فلما دنوا
المدينة ونزلوا اقناة ألفوا بها المغيرة بن شعبه برعى في نوبته ركاب رسول الله .
فلما رآهم ترك الركاب عندهم ، وأسرع ليبشر النبي بقدمهم عليه ، فلحقه
أبو بكر قبل أن يدخل على النبي فأخبره عن ركبهم أن قد قدموا
يريدون البيعة والاسلام بأن يشرط لهم الرسول شروطا ويكتبوا منه
كتابا في قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر أقسمت عليك بالله
لا تسبقني الى النبي حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة ، ودخل أبو بكر
فأخبره بقدمهم عليه ، ثم خرج المغيرة الى أصحابه فروح الظهر معهم ،
وعلمهم كيف يحبون الرسول فلم يفعلوا الا بتحية الجاهلية

ولما قدموا على الرسول ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده وكان
خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشى بينهم وبينه حتى اكتبوا كتابهم
وتولى خالد كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند
النبي حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم

وقد كانوا سألوا النبي أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لاهدمها
ثلاث سنين فأبى ، فما برحوا يسألونه سنة سنة وبأبى عليهم حتى سألوا
شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمي ، وإنما
يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم
وذرائعهم ، ويكرهون أن يروغوا قومهم بهدمها حتى يدخلها الاسلام
فأبى الرسول الا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبه فيهدماها
وقد سأله مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة والا يكسروا
أوتانهم بأيديهم فأعفاهم من هذه الأخيرة وقال : أما الصلاة فانه لاخير
في دين لا صلاة فيه ، قالوا فسنؤتيكها وان كانت دناءه

فلما أسلموا وكتب لهم النبي كتابا أمر عليهم عثمان بن أبي العاص
من بني مالك وكان من أحدثهم سنا ، ذلك لأنه كان أحرصهم على النفقة
في الاسلام وتعلم القرآن

ولما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم بعث النبي معهم أبا سفيان
والمغيرة في هدم الطاغية فخرجا حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة
أن يقدم أبا سفيان فأبى عليه وقال أدخل أنت على قومك ، فلما دخل
المغيرة علاها بضرها بالمعول ، وقام قومه دونه خشية أن يرمى أو يصاب
كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حاسرا يبكين

ويروي أن المغيرة قال لأبي سفيان حين هدمها : ألا أضحكك من ثقيف ؟ فقال بلى ، فأخذ الممول وضرب به اللات ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح ، سرورا بأن اللات قد صرعت المغيرة ، وأقبلوا يقولون كيف رأيتها بامغيرة دونكها ان استطعت ؟ فقام المغيرة بضحك ويقول لهم : يا خبيثاء والله ما قصدت الا الهزأ بكم ، ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها ، ثم أخذ مالها وحليها وأرسله الى أبي سفيان وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الاسود من ثقيف قد قدما على رسول الله بعد قتل عروة يريدان فراق ثقيف ، والا يجامعاهم على شيء أبدا فأسلما ، فلما أسلم وفد ثقيف ورجع سأل أبو مليح رسول الله أن يقضى عن أبيه عروة ديننا كان عليه من مال الطاغية ، وقال له قارب : وعن الاسود يارسول الله فاقضه ، وعروة والاسود أخوان لأب وأم ، فأمر رسول الله أبا سفيان أن يقضى دينهما من مال الطاغية فقضى عنهما

وبعد ففي قصة اسلام ثقيف عبرة . اذ ترى من خلالها أن أقوى قبائل العرب أصبحت تطلب الاسلام لتحتمي به من اعتداء المعتدين (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل)

انذار المشركين بسورة براءة

وتسمى سورة التوبة والمثيرة والخافزة والفاضحة والمنككة والمشردة . لانها كشفت من سرائر الناس . كان رسول الله حين قدم من تبوك

لذكر مخالطة المشركين للناس في حجهم وتلبيتهم بالشرك وط- وافهم
 عراة بالبيت ، وكانوا يتصدون بذلك أن بطوفوا كما ولدوا بغير الثياب
 التي أذنوا فيها وظلموا ، فلبث بقية رمضان وشوال وذا القعدة وأمسك
 عن الحج في ذلك العام ، وبعث أبا بكر أميرا على الحج ليقيم للمسلمين حجهم ،
 والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، وبسورة براءة لينفذ
 الذين نكثوا العهد وهدمهم ويؤجلهم أربعة أشهر ليسيروا أين شاءوا ،
 وهم هذا الحى من قريش وبنو الديل من بكر بن وائل الذين دخلوا في
 عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، ولستم العهد لمن لم يكن نقض من بنى
 بكر الذين دخلوا في عقد قريش في ذلك اليوم ولم ينقصوا شيئا من
 شروط العهد ولم ينكثوه ولم يظاهروا على المسلمين أحدا من أعدائهم ،
 ثم لهم عهدهم الى تمام المدة ما استقاموا

وكان بين المشركين وبين النبي من العهد ألا يصدوا عن البيت أحدا
 جاءه ولا يخيفوا أحدا في الشهر الحرام ، لكنهم نكثوا أيمانهم من بعد
 عهدهم وصدوا عن سبيل بيت الله بحصر الحجاج والمأثر ، ولم يرقبوا في
 مؤمن الآ ولا ذمة ، فكانوا هم المعتدين ، واستحقوا هذا الانذار الذى
 يعلن أهل الغدر بالغدر (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ، وأهل الوفاء بالوفاء
 (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤت به أجرا عظيما)

ولما خرج أبو بكر لهذا الغرض أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع
 أبو بكر وقال : يا رسول الله هل أنزل في قرآن ؟ قال لا ، ولكن أردت أن
 يبلغ غنى من هو من أهل بيتي ، وهذا مخصوص باليهود فان من عادات
 العرب ألا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ، اما الأوامر

والنواحي فمقد بعث رسول الله كثيرا ممن ليس من عترته ليؤدي عنه ،
وعلى ذلك كان أبو بكر أمير الحج ، وكان على تحت امرته في هذا الشأن
الخاص ، يدل على ذلك انه لما دعا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال :
هذا رغاء ناقة رسول الله ، فلما لحقه ، قال : أمير أم مأمور ؟ قال مأمور -
ولما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدث الناس عن مناسكهم ، وقام
على يوم النحر عند جرة العقبة وقال : يا أيها الناس اني رسول الله اليكم ،
فقالوا بماذا ؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ، ثم قال أمرت بأربع :
الا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ،
ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة ، وأن ينم الى كل ذي عهد عهده ، وأجل
الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم الى ما منهم أو بلادهم
ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة الا أحد كان له عند رسول الله عهد الى مدة
فهو له الى مدته ، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان
وكان المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى : سترون بعد
الأربعة الأشهر أنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب -
غير أنهم في هذه المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا في طوعا وكرها -
وحج رسول الله في العام القابل وحج المسلمون وقد عاد الدين كله
واحد الله رب العالمين

وهذا هو سر الانذار بهذه السورة المباركة التي هدمت قوي المشركين
وزدعتهم فرعبوا وأنابوا الى الله اذ علموا الا ملجأ من الله الا اليه

سنة الوفود

لما افتتح رسول الله مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبليعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه ، وكان ذلك سنة تسع وإنما كانت العرب تربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ، وذلك أن قريشا كانوا امام الناس وهاديهم ، وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك - وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ودوخها الاسلام ، عرفت فعرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله أواجا ، يضربون اليه من كل وجه كما بينه الله لنبيه في سورة الفتح

وفد تميم

قدم على النبي عطارد بن حاجب في أشراف بني تميم منهم الاقرع ابن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وفيهم عيينة بن حصن الفزاري ، وكان الأخيران قد شهدا مع رسول الله فتح مكة وحنينا والطائف ، فلما قدموا دخلوا المسجد ونادوا رسول الله من وراء حجراته أن أخرج إلينا يا محمد ، فأذى صياحهم النبي فخرج إليهم فقالوا جئناك نفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قل قد أذنت ، فقام عطارد فقال : الحمد لله الذي له علمنا الفضل والازوه وأهله ، الذي جعلنا ملوكا . ووهب لنا أموالا عظيما ، قبل فيها الماروف ، وجعلنا أنز أهل المذوق وأكرم

عددا وأبسرهم عدة ، فمن يفاخرنا فليعد مثل عددنا . ثم جلس فقال رسول الله لثابت بن قيس الخزرجي . قم فأجب الرجل فقام فقال : الحمد لله الذي السموات والارض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيء قط الا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفي من خير خلقه رسولا فكان خيرة الله تعالى من العالمين

ثم دعا الناس الى الايمان ، فأمن به المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس نسباً وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً ، ثم كان أول الخلق استجابته لله حين دعاه نحن ، فنجح أنصار الله ووزراء رسول الله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً -

(فما الفرق في نظرك بين المفاخرتين وأيهما أرجح كفة ؟)

فقام الزبرقان بن بدر فأنشد القصيدة التي أولها

نحن السكرام فلا حى يعادلنا منا الملوك وفيما تصنع البيع
يشير الزبرقان الى أنه كان يصنع له بيت من عمام وثياب ، وينضح بالزعفران والطيب ، وكانت بنو تميم تخرج ذلك البيت . وكان حسان بن ثابت غائباً فدعاه النبي ليحيب شاعرهم فجاء وقال قصيدته التي أولها

ان الذوائب من فخر واخوتهم قد بينوا سنة للناس تقبع
فلما فرغ حسان من شعره قال الاقرع بن حابس : وأبى إن هذا
الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولاصواتهم أحسن من أصواتنا . ثم أسلموا وأجازهم رسول الله فأحسن جوائزهم ، حتى عمرو بن الاهتم الذي خلفوه في رحالهم

وفد بني عامر

وفد على النبي بنو عامر ، وفيهم عامر بن الطفيل الذي قدم وهو يريد الغدر بالنبي ، وقد قال له قومه يا عامر إن الناس قد أسلموا فاسلم قال : والله لقد كنت آليت لا أنهي حتى تتبع العرب عقبي ، أفأنا أتبع هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربد بن قيس : إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فإفله بالسيف فلما قدموا على النبي قال له عامر : خالني يا محمد قال : لا حتى تؤمن بالله وحده ، قال يا محمد خالني وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال خالني يا محمد فأبى إلا على ذلك الشرط فقال : أم والله لا ملأناها عليك خيلاً جرداً ورجلاً مرداً ولا ربطان بكل نخلة فرساً فلما خرجوا من عند النبي قال عامر لأربد وبلاك ! أين ما كنت أمرتك به ؟ فقال : والله ما هممت بقتل محمد إلا رأيته بيني وبينه ، أفأقتلك ؟ فلما كان القوم ببعض الطريق أصاب الطاعون عامراً فقتله ، وخرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بني عامر ، فقال القوم : ما وراءك يا أربد ، قال لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بالهبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين فأصابته صاعقة فهلك ، وهو أخو لبيد بن ربيعة الشاعر لأمه

وفد بني سعد بن بكر

بعث بنو سعد بن بكر الى النبي ضمهم بن ثعلبة فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقاله ودخل المسجد ورسول الله جالس في أصحابه ، فقال أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله أنا ابن عبد المطلب قال أمحر ؟ قال نعم فسأله عن شرائع الاسلام وقال سأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف الى بعيره فاطنق عقاله وقدم على قومه فكان أول ما تكلم به أن قال بثبت اللات والعزى ، فقالوا له : اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون فقال : انهما والله لا يضران ولا ينفعان ، ان الله قد بعث رسولا واتزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، فما أئسى ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة الا مسلما به . فما سمع بوفد قوم كان أفضل من ضمهم بن ثعلبة

وفد عبد القيس

قدم على النبي الجاورد بن عمرو في وفد عبد القيس وكان نصرانيا فأسلم وأسلم من معه ، وكان الجاورد حسن الاسلام صلبا على دينه حتى هلك ، وكان قد نهى قومه عن الردة بعد موت النبي لما ارتدوا مع المنذر بن النعمان الغرور

وكان النبي قد بعث العلاء بن الحضرمي قبل الفتح الى المنذر بن ساوى العبدى فأسلم وحسن اسلامه ومات بعد وفاة النبي وقبل رده أهل البحرين والعلاء عنده أمير لرسول الله على البحرين

وفد بني حنيفة

وقدم على النبي وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب وكان منزله في دار ابنة الحرث امرأة من الأنصار، وقد اجتمع برسول الله ثم عاد إلى اليمامة وتنبأ وتكذب لهم، وادعى أنه شريك رسول الله في النبوة، فاتبعه بنو حنيفة وارتدوا

وكان الرجال الحنفي قد قدم في وفد اليمامة فأمن وتعلم سوراً من القرآن، ثم عاد إلى اليمامة فارتد وشهد زوراً أن النبي قد شركه معه في النبوة، ونسب إلى مسيلمة بعض ما تعلم من القرآن، فكان من أقوى أسباب الفتنة على بني حنيفة، وقد قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة

وفد طييء

وقدم وفد طييء وفيهم زيد الحيل وهو سيدهم فأسلموا وحسن إسلامهم، وقال رسول الله: ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيت دونه ما يقال فيه إلا ما دكن من زيد الحيل فإنه لم يباغ كل ما كان فيه ثم ساء زيد الخير، وأقطع له فيد وأرضين معها، فلما رجع أصابته الحمى بقربة من نجد فمات بها

أمر عدي بن حاتم وقدمه

كان عدي بن حاتم يقول ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله حين سمع به منا، أما أنا فكنت امرأة شريفاً وكنت نصرانياً

وكنيت أسير في قومي بالمرباع ، فكنت في نفسي على دين وكنيت ملكاني قومي لما كان يصنع بي ، فلما سمعت برسول الله كرهته ، فقلت لغلالم لي أعدد لي من ابلي اجمالا ذللا فاحتبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ففعل ، ثم آتاني ذات غداة فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيش محمد فقلت قرب لي اجمالي فقرها فاحتملت باهلي وولدي ثم قلت ألحق باهل ديني النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها

وكان رسول الله قد أرسل علي بن أبي طالب في سرية الى ديار طيء وأمره أن يهدم صنمهم فساروا أغار عليهم فغنم وسبي ذكر الصنم وكان متقلدا سيفين فاخذها على وكان الحرث الفساني قد أهداها الى الصنم فعلقا عليه ، وأسربنتا لحاتم الطائي وحملت الى رسول الله فأطلقها - وأما اسلام عدي بن حاتم فقال عدي : جاءت خيل رسول الله فأخذوا أختي وناسا فأتو بهم رسول الله فقالت أختي يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فلمن علي من الله عليك ، فقال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم ، قال الذي فر من الله ورسوله فمن عليها والى جانبه رجل قائم وهو علي ابن ابي طالب قال سليه حملانا ، فسألته فأمر لها به وكساها وأعطاها نفقة ، قال عدي فبينما انا بالشام اذ جاءت أختي واخذت تلومني على تركها وهربي باهلي دونها ثم قالت لي : أرى أن تملحق بمحمد سريعا فإن كان نبيا كان للسابق فضله ، وإن كان ملكا كنت في عز وأنت . قال فقدمت على رسول الله فسلمت عليه وعرفته فنفى فأتاها بي الى يثرب فقابلته

امرأة ضميعة فاستوقفتها ، فوقف لها طويلا تسكما في حاجته ، فقلت ما هذا بملك ، ثم دخلت بيته فأجلسني على وسادة وجلس على الأرض ، فقلت في نفسي ما هذا ملك ، فقال لي يا عدي انك تأخذ المربع وهو لا يحل في دينك ، ولعلك انما يمنعك من الاسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عددنا ، والله ليفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه والله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف الا الله ، والله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت ، قال فاسلمت وقد رأيت القصور البيض وقد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج الى البيت لا تتغاف الا الله ، والله لتكونن الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يقبله أحد

وفد مراد

وقدم وفد مراد مع فروة بن مسيك المرادي مفارقا لملوك كندة ومباعدة لهم الى رسول الله ، وقد كان قبيل الاسلام بين مراد وهمدان وقعة ظفرت فيها همدان وأكثروا القتل في مراد في يوم يقال له يوم الرزم فلما انتهى الى رسول الله قال له يافرو : هل ساءلك ما أصاب قومك يوم الرزم ، قال : يا رسول الله من ذا يصب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الرزم لا بسوءه فقال النبي : اما ان ذلك لم يزد قومه في الاسلام الا خيرا واستعمله رسول الله على مراد وزبيد وزحج كلها وبعثه معه خالد بن سميد بن العاص على الصدقة فكان معه الى أن توفي رسول الله

وفد زبير

وقد وفد زبير على رسول الله مع عمرو بن معد يكرب فاسلم وعاد من عند النبي فاقام في قومه من زبير وعليهم فروة بن مسيك فلما توفي النبي ارتد عمرو - وكان قبل وفوده قد اتفق مع قيس بن مكشوح المرادى (حينما انتهى اليهم أمر النبي) علي أن يذهبوا اليه بالحجاز فابى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو منفردا حتى قدم على رسول الله فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعدده وتحطم عليه ، وقال خالفتني وترك رأبي

وفد كندة

وقدم وفد كندة على النبي مع الأشعث بن قيس ، وكانوا ستين أو ثمانين راكبا ، فقال له الأشعث نحن بنوا آكل المرار وأنت ابن آكل ، فقال النبي لا ، بل نحن بنوا النضر بن كنانة لانقفوا أمانا (أى لاتبعتها في النسب) ولا تنتفى من أبنينا

وقدمت فود أخرى كوفد بني أسد الذين قالوا أتيتك يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا فأنزل الله تعالى (يبنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم الآية) -

وكوفد بلي ووفد بهراء ووفد بني فزارة وكانو بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن - ووفد الأزد مع صرد بن عبد الله الذي أسلم فأمره رسول الله على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من

أهل بيته المشر كين فسار الى جرش فقاتلهم كثيرا ثم خرج منهم وفد الى رسول الله فأسلموا - ووفد غسان ووفد فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام - فلما بلغ الروم اسلامه طالبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم ثم ضربوا عنقه وصلبوه ، ووفد همدان ، ووفد رفاعه بن زبد الجذامي الذي أهدى لرسول الله غلاما وأسلم وبعثه رسول الله الى قومه فأجابوه وأسلموا

(وفد نجران)

كان رسول الله قد أرسل خالد بن الوليد الى بنى الحرث بن كعب وأمره أن يدغوم الى الأسلام قبل أن يقاتلهم فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الأسلام وإن لم يفعلوا قاتلهم ، فلما دعاهم الى الأسلام أجابوا وأسلموا فأقام فيهم وكتب الى رسول الله يعلمهم اسلامهم ، وعاد خالد ومعه وفدهم ، ثم عادوا عنه فأمر عليهم رسول الله بنى الحرث قيس بن الحصين فلم يكتبوا بعد أن قدموا على قومهم الا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله

وأما نصاري نجران فانهم أرسلوا السيد والعاقب في نفر الى النبي وأرادوا مبايعته فخرج اليهم ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين فقالوا هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لازالها ولم يباهلوه وصالحوه على الفى حلة وعلى أن يضيغوا رسل رسول الله ، وجعل لهم ذمة الله وعهد الا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا ، وشرط عليهم ألا يأكلوا

الربا ولا يتعاملوا به ، فلما استخلف أبو بكر عاملهم بذلك فلما استخاف
عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران واشترى منهم
عقارهم وأموالهم ويقال أن ذلك كان بطلبهم حينما كثروا وتحاسدوا وكان
عمر قد خافهم على المسلمين فاغتنمها وأجلاهم فندموا واستقالوه فأبى
ولما ولي عثمان أتوه فأبى ولكنه وضع عنهم مائتي حلة

كتاب ملوك حمير

وقدم على النبي كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسلمهم اليه
باسلامهم ومفارقتهم الشرك فكتب اليهم رسول الله كتابا فيه بيان ما يجب
عليهم من الفرائض ، وبين لهم أن من كان على يهودية أو نصرانية لا يرد
عنها وعليه الجزية ، وبعث اليهم معاذ بن جبل وأوصاه وعهد اليه وقال :
يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر

وبعد فانك ترى من سرد هذه الوفود أن جزيرة العرب كلها آوت
الى حظيرة الاسلام وأصبح أهلوها على اختلاف أماكنتهم ونحلهم بسلامون
الله ورسوله والمسلمين ويلقون اليهم بالمودة ، وكل ذلك على أثر فتح مكة
واسلام قريش وثقيف ، وقريش أئمة الناس وهدانهم ، وأهل البيت
المعمور والحرم المحجوج وصريح ولد اسماعيل وقادة العرب يعرفون لهم
ذلك ولا ينكرونه وكانوا يتربصون بالاسلام أمر هذا الحى من قريش ،
وكانوا هم الذين نصبوا الحرب لرسول الله ، فلما ادانوا الرسول الله وخضعوا
علمت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ، ولا عداوته فأسلموا
أو سالموا والله على التوفيق بطل من يشاء ويهدى من يشاء .

ظهور صليحه والاسود والعنسي

ظهر أمر هذين الكذابين في عهد رسول الله ، أولهما : كذاب اليمامة في بنى عنيفة ، وثانيهما : كذاب اليمن بصنعاء ، وصلت أخبارهما ورسول الله مريض ، فخرج الى الناس عاصبا رأسه من شدة الصداع فقال : انى رأيت فيما يرى النائم أن في عضدي سوارين من ذهب فكرتهما فنفختهما فطارا فأولاهما بكذاب اليمامة وكذاب صنعاء - ولم يشغله مرضه عن انفاذ أمر الله فأرسل الى نفر من الانصار في أمر الاسود - وكان قد أرسل الى من باليمن من المسلمين يأمرهم بقتال الاسود ودفق معاذ في ذلك وأصيب الاسود في حياة الرسول قبل وفاته بيوم واحد - وسند كرم ما كان من أمره وأمر غيره من المرتدين والمتنبئين في حروب الردة بعون الله وحسن توفيقه .

أمراء رسول الله وعماله على الصدقات

كان رسول الله قد بعث أمراء وعماله على الصدقات الى كل ما أوطأ الاسلام من البلدان فبعث المهاجر بن أبي أمية الى صنعاء فخرج عليه الاسود العنسي وهو بها - وبعث زياد بن أبيد الانصاري الى حضرموت على صدقاتهم - وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها وعلى بنى أسد ، وبعث مالك ابن نويرة اليربوعي على صدقات بنى حنظلة ، وجعل الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات بنى سعد بن زيد مناة بن تميم - وبعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين - وبعث على بن أبي طالب الى نجران

ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود ففعل وعاد فأتى رسول الله بمكة في حجة الوداع .

كتاب مسيلمة الى رسول الله والجواب عنه

كان مسيلمة الكذاب قد كتب الى رسول الله : من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك ، أما بعد فإني أشركت في الأمر معك ، وإن لما نصف الأرض ولقریش نصف الأرض ولكن قریشا قوم يعتدون ، فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب ، فقال لهما رسول الله ما تقولان أنما ، قولا نقول كما قال ، فقال أم والله لولا أن الرسول لا يقتل لضربت أعناقكما ، ثم كتب الى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد « فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

حجة الوداع

خرج رسول الله الى الحج لحجس بقين من القعدة بعد أن تجهز وأمر الناس بالجهاز له لا يذكر ولا يذكر الناس الا الحج حتى اذا كان بسرف أمر الناس أن يحلوا بعرة الاهن ساق الهدى ، ثم دخل الرسول مكة وهنالك وآفاه على في قفوله من اليمن فأشركه في هدية ثم مضى على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بين فيها للناس ما بين ، وكان الذي يبلغ عنه بعرفه ربيع ابن أمية بن خلف لكثرة الناس . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اسمعوا قولي لأدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا

الموقف أبدا - أيها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تاتقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وانكم ستاتقوا ربكم فيسألكم عن اعمالكم وقد بلغت ، فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله انه لا ربا وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وان كل دم كان في الجاهلية موضوع وان اول دمائكم اضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (وكان مسترضعا في بني ليث فقتله بنو هذيل) فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية - وهي خطبة طويلة قال في آخرها واني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنة نبيه - أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن ان كل مسلم أخ للمسلم ، وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرئ من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ، قال الناس اللهم نعم ، فقال اللهم اشهد -

وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ وذلك أن رسول الله لم يحج بعدها وأري الناس مناسكهم وعلمهم حجهم - ثم قفل فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفرا وضرب على الناس بعثا الى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد بن خارجة مولاه وأمره أن يوطئ الخيل لئلا تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وأن يغير على أبنا صباحا ، وهي القرية التي عند مؤنه حيث قتل أبوه ، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة المهاجرون الاولون

جملة غزوات رسول الله وما كان لها من الاثر

كان جميع ما غزا رسول الله بنفسه سبعا وعشرين غزوة ، قاتل منها في تسع غزوات : بدر واحد والخندق وقربظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف - وكانت بعوثه وسراياه ثمانيا وثلاثين بين يمينه وسرية - وكان من نتائج الغزوات أن قريشا ضعفت عن مناوأة النبي ثم اضطرت الى مهادنة ومصالحته ، وقفى على انارها بقيته قبائل العرب ، فوفدت وفودهم على رسول الله يطلبون أن يسلموا ويعلمهم قواعد الإسلام ، أو يسالموا ويكتب لهم عهدا بالآمان على أن يؤدوا الجزية - فكان يجيب كل وفد الى ما يحب حتى أصبح العرب في جميع أنحاء الجزيرة بنعمة اخوانا متحابين سواء اكانوا مسلمين تجمعهم كلمة التوحيد والتصديق بما جاء به رسول الله من عند الله ، أم معاهدين تحوطهم اليهود التي كتبها لهم النبي من أن يعتدي عليهم أحد أو يتعرض لهم في أنفسهم أو اولادهم أو أموالهم ، لهم مال المسلمين وعليهم ما عليهم في أي جهة من جهات الجزيرة كانوا - والخلاصة أن ما قام به الرسول من الغزوات والسرايا كانت نتيجته خضوع من في جزيرة العرب جميعا الى أحكام الإسلام وأعلم أن السرايا التي كان يبعث بها رسول الله تشن الغارة على هل النواحي المختلفة من العرب التي لاسلطان لاحد عليها ، أو الخاضعة للروم أو الفرس إنما كانت لان هؤلاء اتحدوا المسلمين ، أما بالاغارة عليهم بالفعل ، وأما بانهم يستعدون لهذه الاغارة ، ومن ذلك غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة بوادى القري ، وغزوة عبد الله بن رواحة لقتل ابن

رزام الذي كان بخير بجمع الناس لغزو النبي، وغزوة عبد الله بن أنيس
لقتل ابن سفيان الهذلي لانه كان بنخلة أو بعرة بجمع الناس لرسول
بيغزوه، وغزوة ابن أبي حدر لقتل رفاعة بن قيس من بني جشم لانه
أراد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله

﴿ ابتداء شكوى رسول الله ووفاته ﴾

بينما الناس يتجهزون لبعث اسامة سنة ١١ ابتداء برسول الله مرضه
الذي قبضه الله فيه ما أراد من كرامته ورحمته في ليال بقين من صفر
أو في أول شهر ربيع الأول، وكان يدور على نسائه حتى اشتد به مرضه
في بيت ميمونة، فجمع نسائه فاستأذن أن يعرض في بيت عائشة فأذن له
(وكن تسعاً وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب
وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وزينب بنت جحش وجويرة بنت الحرث
ابن أبي ضرار، وصفية بنت حبي بن أخطب، وأم سلمة بنت أبي أمية
ابن المغيرة، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحرث بن حزن)

ثم خرج يوماً بين رجلين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب
فجلس على المنبر ونودي في الناس فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به
أنه صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال ان عبداً من عباد الله
خير الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله - ففهمها أبو بكر
وعرف أن نفسه يريد فسيكي وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا،
فقال على رسلك يا أبا بكر ثم قال: انظروا هذه الأبواب الالافظة في
المسجد فسدوها الاباب أبي بكر، فاني لأعلم أحداً كان أفضل في
الصحة عندي بدامنه

ثم أوصى بالانصار فقال : يا معشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيراً فإن الناس يزيدون ، وإن الانصار على هيئتها لا تزيد ، ولهم كانوا عييتي التي أويت إليها ، فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن سيئاتهم - ثم نزل فدخل بيته وتنام به وجمعه - ولما استعز به قال : مروا أبابكر فليصل بالناس ، فقالت عائشة : يا نبي الله إن أبابكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن ، قل مروه فليصل بالناس ، فعادت عائشة إلى مثل قولها فقال : إنكن صواحب يوسف مروه فليصل بالناس فكان صلى أبو بكر بالناس تسعة أيام ثم خرج رسول الله في اليوم العاشر منها يهادي بين رجلين أسامة والفضل بن عباس حتى صلى خلف أبي بكر

ويروى أنه خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم به حين رأوه فرحاً به ، وتفرجوا فأشار إليهم أن انبتوا على صلاتكم ، وتبسم سروراً لما رأى من هيئتهم في صلاتهم ، ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن النبي قد أفرق من وجمعه ، ورجع أبو بكر إلى أهله بالسج ، فما اشتد الضحى حتى توفي رسول الله

وكان ذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ودفن من الغد نصف النهار .

وكان آخر كلمة تكلم بها صلى الله عليه وسلم . اللهم الرفيق الأعلى
وعم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون
وكان آخر ما أوصى به الصلاة وما ملكت أيمانكم . حراك بها لسانه وما يكاد يبين

وكان لما اشد وجهه ونزل به الموت يأخذ الماء بيده ويجمله على وجهه ويقول : وأكرباء! فتقول فاطمة : واكربى لكربك يا أبت فيقول : لا كرب على أهلك بعد اليوم

أمر الناس عند الوفاة

لما توفي رسول الله كان أبوا بكر بالسنح وعمر حاضر - فقام عمر فقال : ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي وأنه والله مامات ، ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أبدى رجال وارجلهم زعموا أنه مات - وقد سئل رضى الله عنه أيام خلافة عما كان منه من ذلك فقال : والله ان كان الذى حملنى على ذلك الا أنى كنت أقرأ هذه الآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فوالله أن كنت لاظن أن رسول الله سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بأخرا عمالها ولكنه روى من طريق آخر - رآه لما رجع الى رشدة قال فيما كان منه لأمري لقد أبقت أنك ميت ولكنما أبدى الذى قلته الجزع وقلت : يغيب الوحي عنا لفقده كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع وكان هراى أن تطول حياته وليس لحي فى بقا ميت طمع لاشك أن الناس عن ما ارتفعت الرنة وسجى رسول الله الملائكة دهشوا وطاشت عقولهم وافحموا واختلطوا ، فمنهم من خبل ، ومنهم من أصمت ، ومنهم من أقعد ، فكان عمر ممن خبل وجعل يصيح ويحلف مامات رسول الله ، ومن آخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذهب به ويحاج

لا يستطيع كلاما. وكان ممن أقعد على فلم يستطيع حراكا، وأما عبد الله
ابن أنيس فأضنتى حتى مات كمدا
أما أبو بكر فكان مثلا أعلى في الثبات والصبر ، بلغه الخبر حيث هو
فجاء وعيناه تهملان، وزفرانه تترد في صدره، وغصصه ترفع كقطع
الجرة ، وهو في ذلك جلد العقل والمقالة ، وأقبل وعمر يكلم الناس فلم
يلتفت الى شيء حتى دخل على رسول الله فأكب عليه وكشف وجهه
ومسحه وقبل جبينه ، وجعل يبكي ويقول: يا أني أنت وأمي طبت حيا
وميتا، وأنقطع لموتك ما لم ينقطع لأحد من الانبياء من النبوة ، فعظمت
عن الصفه وجلت عن البكاء ، وخصت حتى صرت مسلاة وعمت
حتى صرنا فيك سواء، ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس،
ثم خرج لما قضى الناس غمراهم وعمر يكلم الناس ، فقال على رسلك
يا عمر أنصت، فأني الآن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على
الناس فأقبلوا عليه وتركوا عمرا ، فلما سمعوا كلامه خطب فيهم خطبة
حمد الله وأثنى عليه بما أهله ، وصلى الله على نبيه كثيرا ثم قال أيها الناس
من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله
حي لا يموت، ثم تلى قوله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الراسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فان
يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) قال عمر : فوالله لكان الناس لم
يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، وأخذها الناس عن
أبي فائض في أفواههم ، فوالله ما هو الا أن سمعت أبا بكر تلاها فعمرت
حتى وقعت على الأرض ما تحماني رجلاي وعلمت أن رسول الله قد مات

ولما وصل خبر وفاته صلى الله عليه وسلم الى مكة وعامله عليها عتاب
ابن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، استخفى عتاب وارتجعت مكة ، وكاد
أهلها يرتدون ، فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا
اليه فقال : يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم ، وأول من ارتد ، والله
ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله ، فلقد رأيته قائما مقامى هذا
وحده وهو يقول : قولوا معي لا اله الا الله تدن لكم العرب ، وتودى
اليكم العجم الجزية ، والله لننفقن كنوز كسري وقيصر في سبيل الله
فمن بين مستهزىء ومصدق فكان ما رأيتم ، والله ليكونن الباقي فامتنع
الناس عن الردة

وهذا هو المقام الذي قاله رسول الله لما أسر سهيل بن عمرو في
بدر لعمر بن الخطاب دعه يا عمر فسيقوم مقاماً محمداً عليه ، وكان عمر قد
قال لرسول الله دعني أترع ثيبي يا رسول الله - لا يقوم عايك خطيباً أبداً

أمر سقيفة بنى ساعدة

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من
الأنصار الى سعد بن عباد في سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن
أبي طالب والزبير بن العوام وطليحة بن عبيد الله في بيت فاطمة وانحاز بقية
والمهاجر بن الى أبى بكر وعمر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير في بنى
عبد الاشهل ، فأتى آت الى أبى بكر وعمر فقال : ان هذا الحى من
الانصار مع سعد بن عباد في سقيفة بنى ساعدة قد انحازوا اليه ، فان
كان لكم بأمر الناس حاجة فأركوا الناس قبل ان يتفاقم أمرهم ، ورسول

الله في بيته لم يفرغ من أمره ، قد أغلق دونه الباب أهله ، قال عمر :
فقلت لأبي بكر انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الانصار حتى ننظر
ماهم عليه ، فانطلقنا نؤمهم حتي لقينا منهم رجلا ن صالحا فذكر لنا
ما نالوا عليه القوم وقالوا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا نريد اخواننا
هؤلاء من الانصار قالوا : فلا عليكم أن تقر بوم ، يا معشر المهاجرين
اقضوا أمركم قال عمر : والله لنا نيتهم ، فانطلقنا حتي أتيناهم في سقيفة بني
ساعدة فاذا بين ظهرانيهم رجل مزمّل فقلت من هذا فقالوا سعد بن
عبادة ، فقلت له ، قالوا وجمع ، فلما جلسنا نشهد خطيبهم فاذا هو يقول :
أما بعد فنحن أنصار الله ، وكتيبة الاسلام وأنتم يا معشر المهاجرين رهط
منا ، وقد دفت دافة من قومكم واذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ،
ويغتصبونا الامر قال عمر فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زورت في
نفسى مقالة قد أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكت أداري
منه بعض الحد ، فقال : على رسلك يا عمر فكرهت أن أعصيه ، فتكلم لم
وكان أعلم مني وأوفر فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري الا
قالها في بيته أو مثلها . أو أفضل حتي سكت ، وقال : أما ما ذكرت
فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر الا لهذا الحى
من قريش . هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين
الرجلين فبايعوا أيها شئتم ، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح
وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئا مما قال غير هذا ، كان والله أن أقدم
فتضرب عنقي فيما بقربنى الى اسم أحب الى أن أنامر على قوم فيهم أبو بكر ،
فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المحكمك ، وعزيقها المرجب ، منسا

أمير ومنكم أمير بامعشر قريش ، وأرتفعت الاصوات حتى تخلفت
 الاخلاف فقات : أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبإبعته ثم بايعه
 المهاجرون ثم بايعه الانصار . ونزونا على سعد بن عباد ، فقال قائل
 منهم : قتلتم سعد بن عباد ، فقلت قتل الله سعد بن عباد ، وأنا والله
 ما وجدنا أمرا هو أقوى من بيعة أبي بكر خشيت ان فارقت القوم ولم
 تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نتابعهم على ما رضى به وأما أن
 نخالفهم فيكون فساد . هذا وسنأتى على رواية اخرى في هذا الشأن
 عند الكلام في كيفية استخلاف الصديق رضى الله عنه

(نجهيز ورسول الله ودفنه)

فلما بويع ابو بكر البيعة العامة على ما يجيىء أقبل الناس على جهاز
 النبي ، ودفن يوم الثلاثاء ، وتولى غسله على ، والعباس ، والفضل
 وقثم ابنه ، واسامة بن زيد وشقران ، موليا رسول الله ، وكفن في
 ثلاثة أثواب ، ثوبين صحاريين وبرد حبره ادرج فيها ادراجا ، ودفن في
 بيت عائشة موضعه ، وحفر له أبوطاححة الأنصاري لحدا ، ودخل الناس
 فصلوا عليه ارسالا ، وكان عمره صلى الله عليه ثلاثا وستين سنة
 ولما أتوا في الرسول عظمت به مصيبة المسلمين فكان موته خطيبا
 كالحاء ورزء افادحا ، لاقطاع خبر السماء ، وفقد من لا عرض منه ، مع ما أذن
 به موته من الفتن والحوادث ، قالت عائشة (رضى الله عنها) لما أتوا في
 رسول الله ارتدت العرب واشترأت اليهودية والعمرانية ، ونجم النفاق
 وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية حتى جمعهم الله على أبي بكر

هذا وقد رآه غير واحد من المسلمين وبخاصة حماد بن ثابت
الأنصاري، فقد قال وأطال، وبكى وأبكي، ولقد استحسنتم ان اذكرا
هنا ما قاله سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يبكي رسول الله وهو

أرقت فبات ليلي لا يزول وليل أخى النصيبة فيه طول
وأسمع دنى البكاء وذلك فيما أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت مشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مماعراها تسكاد بنا جـ وانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا روح به ويفد وجه برئيل
وذلك أحق ماسات عليه نفوس الناس أو كربت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا بما وحي اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا علمنا والرسول لنا دليل
أفأطم ان جزعت فذاك عذر وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول

﴿ حديث الأسود الغنسي باليمن ﴾

واذا كان ظهور هذا الحديث في حياة الرسول، بل وان أمره انتهى بعد الوفاة
بقليل فقد رأينا ان نذكر ما كان من حديثه في سيرة رسول الله عليه السلام
اسمه غير له، وغنس بطن من مكن حج، وكان يلقب ذا الحمار
لانه كان معتما متخمرا أبدا

وكان رسول الله قد جمع لبازان حين أسلم وأسلم أهل اليمن،
جميع أرض اليمن وأمره على مخاليفها، فلما مات فرق الرسول أمره

في اليمن : فاستعمل شمر بن باذان على صنعاء ، وأبا موسى على مأرب ،
وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران وزبيد ، وعلى أعمال
حضر موت زياد بن لبيد الأنصاري ، واستعمل غيرهم نواح أخرى ،
أما معاذ بن جبل فكان معلماً يتنقل في عمالة كل عامل

وكان الأسود قد علم بموت رسول الله على أثر عودته من حجة الوداع
فادعى النبوة ، وكان مشعب بن أبيهم الأعاجيب فاتبعته مذحج ، وكانت ردة
ول درة في الإسلام ، وغزا نجران وأخرج منها عامل رسول الله ، ووثب
قيس بن المكشوح على فروة بن مسيك المرادي ، وهو على مراد فأجلاه
وأنزل منزله ، ومار الأسود من نجران إلى صنعاء فخرج إليه شهر فلقبه
فقتل شهر وتزوج الأسود امرأته ، وخرج معاذ بن جبل هارباً حتى
لحق بأبي موسى ثم لحق بحضر موت ، ولحق بفروة من ثم على إسلامه من
مذحج واستتب ملك اليمن للأسود ، ولحق أكثر أمراء اليمن بالطاهر بن
أبي هالة ، وهو يومئذ على جبال عك وجبال صنعاء ، واستطال ملك
الأسود حتى غلب على ما بين الطائف والبحرين والأحساء وعدن ،
واستطار أمره كالخريق ، وكان خليفته في مذحج عمرو بن معديكرب
الزبيدي ، وخليفته على جنده فروة بن مسيك وكان أمر أبناء اليمن
إلى فيروز وداؤويه — وخاف من بحضر موت من المسلمين أن يرسل
الأسود ، اليهم جيشاً ، أو يظهر بها كذاب مثله ثم ما هو إلا أن جاء
اليهم وإلى من باليمن من المسلمين كتاب النبي يأمرهم بقتال الأسود ،
فقام معاذ في ذلك ، وقويت نفوس المسلمين ، وكان الذي قدم بكتاب
النبي وبر بن محنس الأزدي قال جندس الديلمي فجاءتنا كتب النبي

بأمر نابقتاله ، امامصادمة وأما غيلة (يريد نفسه وفيروز وداذويه) وان
نكاتب من عنده دين ، فعملنا في ذلك فرأينا أمرا كثيفا ، وكان الاسود
قد تنكر لقيس بن المكشوح فقلنا ان قيسا يخاف على دمه فهو لأول
دعوة ، فدعونا وأبلغناه عن النبي ، فكاننا نزلنا عليه من السماء فأجابنا ،
وكانتنا الناس ،

ويظهر أن الأسود علم بهذه المؤامرة ، وأراد أن يقتل قيسا فأخبره
أن شيطانه يأمره بقتله ليأمله الى عدوه ، فحلف قيس لأنت أعظم في
نفسي من أن أحدث نفسي بذلك ثم جاءهم فقال : يا جسنس ويا فيروز
ويا داذويه ، ثم حدثهم بما جرى بينهم وبين الاسود ، قال جسنس فبينما
نحن معه يحدثنا اذ أرسل الينا الاسود فتهددنا فاعتذرنا اليه ونجونا ،
ولم نكد وهو مرتاب بنا ونحن نحذره ، فبينما نحن على ذلك اذ جاءتنا
كتب من جهات شتى يبذلون لنا النصر ، فكانتناهم وأمرناهم الا يفعلوا
شيئا حتى نبرم أمرنا ، وانما اهتموا لذلك حين كانوا هم النبي وكتب
أيضا الى أهل نجران فأجابوه ، وبلغ ذلك الأسود وأحس الهلاك

﴿ أعمال الجبر والنصر ﴾

قال جسنس فدخلت على امرأته التي تزوجها وكانت لشهروهي
ابنه عم فيروز ، فدعوته الى ما نحن عليه ، وذكرتها قتل زوجها
شهر واهلاك عشيرتها وفضيحة النساء ، فأجابت ، وقالت : أعلموني
امر كم أخبركم بوجه الأمر ، فخرجت وأخبرت صاحب قيسا ، واذ قد
جاء رجل الى قيس فدخل عليه في عشرة من مذبح وهمدان فلم يقدر

إلى قتله معهم ، واسكنه قال له ان شيطاني يقول لي : ان لا تقطع من
 قيس بدمه بقطع رقبتك ، فاعتذر قيس فرق له وتركه وخرج قيس فمر
 بنا وقال : اعملوا عملكم ولم يقعد عندنا - فخرج علينا الاسود في جمع فقمنا له ،
 فقال : أحق ما بلغني عنك يا فيروز ؟ وبوأ له الحربه ، لقد هممت أن أنحرك ،
 فقال له فيروز لقد اخترتنا لصهرك ، وفضلتنا على الأبناء ، وغير هذا من
 الكلام الرقيق وكان رجل يسمى بفيروز وهو يسمع فقال له أنا
 قاتله غدا وأصحابا ، ثم رجع فيروز فأخبرنا بما سمع فأرسلنا إلى قيس
 فأجمعنا على أن أعود إلى المرأة فأخبرها بعزمنا ، وناخذ رأسها ، فأتيتها
 فأخبرتها ، فقالت : هو متحرز وليس من القصر شيء الا والحرس محيطون
 به غير هذا البيت ، فان ظهره إلى مكان كذا وكذا ، فاذا أمسيتم فانقبوا
 عليه فانكم من دون الحرس ، وليس دون قتله شيء وستجدون فيه سراجا
 وسلاحا ، قال : فتلقاني الاسود ووجأ رأسي حتى سقطت ، فصاحت المرأة
 فادهشته عني وقالت جاء ابن عمي زائر افعلت به هذا فتركني فاتيت أصحابي
 فقلت النجاء الهرب ، واخبرتهم الخبر ، فانا على ذلك حيارى اذ جاءنا
 رسو لها يقول : لاندعن هافارقك عليه ، فقلنا لفيروز انهما فنثبت منها ،
 ففعل ، فلما أخبرته قال : نتقب على بيوت مبطنة ، فدخل فاقطلع البطانة ،
 وجلس عندها كالزائر ، فدخل عليها الاسود فأخذته غيرة ، فأخبرته
 برضاع وقرابة منها فأخرجها

فلما أمسينا عملنا في أمرنا وأعلمنا أشياعنا ، وعجلنا فنقبنا
 البيت من خارج ودخلنا ، وانقينا بفيروز (اذ كان أشدنا) فقلنا
 انظر ماذا ترى ، فخرج ونحن بينه وبين الحرس ، فلما دنا من البيت

سمع عظيمًا شديدًا والمرأة قاعدة . فتكلم الاسود وقال مالى ومالك
يا فيروز ، فخشي ان يهلك وتهلك المرأة ، فعاجله وخالطه وهو مثل
الجل فأخذ برأسه فقتله ودق عنقه ووضع ركبته في ظهره فدقده ، ثم قام
ليخرج فأخذت المرأة بنسوبه وهى ترى أنه لم يقتله ، فقال : قد قتله
وارحتك منه ، وخرج فأخذنا فدخلنا معه ، فاذا الاسود يخور كما
يخور الثور ، فقطعت رأسه بالشفرة ، وابتدر الحرس المقصورة يقولون
ما هذا ؟ فقالت المرأة : النبي يوحى اليه فخدموا ، وقعدنا نأتمر بيدنا
كيف نخرأشياعنا فاجتمعنا على النداء ، فلما طلع الفجر نادينا
بشء - ارنا الذي بيدنا وبين أصحابنا ففرع المسلمون والكافرون ، ثم
نادينا بالآذان والقينا اليهم رأسه ، وأحاط بنا أصحابه وحرسه ،
وشنوا الغارة وأخذوا صبياننا كثيرة وانتهبوا ، ثم راسلونا وراسلناهم
على أن يتركوا لنا ما فى أيديهم ، ونترك ما فى أيدينا ، ففعلنا ولم
يظفروا منا بشئ ، وترددوا فيما بين صنعاء ونجران وتراجع أصحاب النبي الى
اعمالهم ، وكتبنا الى رسول الله بخبره ، فقدمت رسلنا وقد توفى
الرسول فأجابنا أبو بكر

وكان امر العنسي من اوله الى آخر ثلاثة أشهر والمتتبع لأخباره
في التدبير عليه يفهم أنه لما خرج الاسود قام فيروز وذا ذوبة
وجسديس بالامر ثم انضم اليهم قيس . فكانوا أربعتهم أشبه شئ
برؤساء جماعة سرية لهم شعار يعرفه من كان على رأيهم فى وجوب
اراحة الناس جميعا من هذا الشرير الذي لا يقوم لله على حق ولا ينتهى
عن محرم

تركة رسول الله

كان رسول الله زاهدا في الدنيا معرضا عنها مقتنعا بالبلاغ منها ، وقد دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جسمه فقال له : لو اتخذت فراشا أو طأمر هذا ، فقال مالى ولدنيا ، والذي نفسى محمد بيده ما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ، ثم راح وتركها

هذا شأن النبي وقد ملك من أقصى الحجاز الى عذار العراق ، ومن أقصى اليمن الى شحر عمان ، وهو أزهد الناس فيها يقتنى ويدخر ، وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر ، لم يخلف عينا ولا دينارا ، ولا حفرة نهر ، ولا شيد قصر ، ولم يورث اهله متاعا ولا مالا ، وقد مات ودرعه مرهونة عند يهودى على آصع من شعير لطعام أهله

هذا شأن النبي وقد ملك جزيرة العرب ، وكان فيها ملوك وأقبا لم خزائن وأموال ، يقتنونها ويتباهون بها فخرا ويستمتعون بها اشرا وبطرا ، وقد حاز ملكهم ، فما اقتنى دينارا ولا درهما ، وكان قد حاز غنائم هوازن وما أكثرها كما سلف فجاد بجميع حقوقه منها وأعاد خلوا

مات وله فدى خالصة من دون المؤمنين ، نصارت بدموته للمسلمين وجاءت فاطمة الى أبى بكر تريد أن ترثها فذكرها بقول أبيها : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، فكفت - وبعد - بتحقيق بمن كانت هذه بعض اخلاقه ان يكون لزعامه العالم اهلا وبالنبيابة عن الناس في مصالحهم اولى - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

حياة رسول الله واثـر الاسلام فى العرب

مما تقدم نستنبط أن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام انقسمت الى الاقسام الآتية :

(١) حياة العبد والاعتكاف عن الناس الى طلب الدين الحق، دين فاطر السموات والارض ، وكان يقصد غار حراء معتزلاً لأهل مكة لا يشاركونهم فيما ينغمسون فيه من المـلاهـي وما يجـر اليها ، ولا فيما يعبدون من الاوثان ، أو يتحلمون من مذاهب الشرك ، ظل هذا سبيـله الى ان نزل عليه الروح الأمين ، وفي هـذه الفترة كان له من الناحية الخلقية منزله عظمى بين قومه حتى دعوه بالامين

(٢) حياة الوحى والرسالة وقبـله بـتـبليغ ما انزل اليه من ربه ، وكان بدعوا الى ذلك سرا ، ثم امره الله ان يـجـهر بالدعوة ويعرض عن المشركين ، وانزل عليه (انا كفيناك المستهزين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) ولقد علم انك يضيق صدرك بما يقولون (ولقد لقي من المشركين ضروباً من الازى ، فسخروا منه وتلقوه بما يكـر ، ورموه بالحجارة وهموا بقتله ، وكذلك صنعوا مع آمن به وصدق دعوته ، ولكن ذلك لم يثـره عن دعوته ولم يزعزع ايمان اصحابه بل كلما زادهم اذى ، زادوا ثباتاً ، وجاهدوا وصبروا على ضعفهم وقلة عددهم واموالهم ، الى ان اشتد الاذى فأذن اليهم فى الهجرة الى الحبشة مرتين ، ثم هاجر بـمـيتهم الى المدينة بعد ذلك ولحق بهم

(٣) حياة ما بعد الهجرة الى المدينة ، وذلك حينما يتس من اهتداء

أهل مكة ، وبعد تعرض القوم له بالاذي بعد وفاة أبي طالب ، وبعد أن عرض نفسه على القبائل فلم يستجب اليه ، فلما جاء الانصار وبايعوه على أن يجر أجرا اليهم ، خرج الى المدينة وهناك آخى بين المهاجرين والانصار فاشتد بذلك ساعده وصار منذئذ له ذلك في جيش يتبعه من الدفاع عن دعوته وعن اصحابه ، وأصبح قائدا عاما وحاكما يحكم بينهم بما أنزل الله ، وما زال يدافع المهاجمين له والمحرضين عليه ويحارب المحاربين له والمتجهمين عليه حتى فتح مكة ودخل كثير من زعماء أهلها وقادتهم في الاسلام وخبثت نار العداء فجاءته الوفود من كل ناحية مسلمة مسلمة حتى لم يبق في نواحي بلاد العرب من يشرك بالله شيئا ، بل دانوا له جميعا ، وصارت كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا الى ان اختار عليه السلام الرفيق الاعلى

أما اثر الاسلام في العرب فواضح من انه ازال ما كان بينهم من احن ، والف بين قلوبهم فاصبحوا اخوانا بعد ان كانوا اعداء ، وقضى على الرذائل التي كانت شائعة فيهم كالو أذ خشية العار أو فرار من النفقة ، والفحش الذي لم يك معه للعفاف قيمة ،

وأطلق الناس من قيود الاستعباد للرؤساء الذين ضلوا في عقائدهم وأهواءهم وغابتهم على الحق شهواتهم وزعات ميولهم ، فأطاعهم رهبة أو رغبة جماعة الرعايا الذين ظنوا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم ، وجاء الاسلام فجبر بان الانسان لم يخلق ليقاد بالزام ، وانزل هؤلاء الرؤساء الى مصاف العامة وجعلهم وهرسيهم سواسية في الحق ولاتفاوت بينهم الا بتفاوت اعمالهم

كما فكهم من أسر التقليد تقليد آبنهم الاولين في ضروب السفة
والحق ، والاقياد الاعمي للرأى ، وهذا وما سبقه تم للمسلمين
الاستقلال في الارادة ، والاستقلال في الرأى ، ولا كمال الانسان بغيرها
على أنالن ندسى ان الاسلام جمع العرب على دين واحد وهو التوحيد
بعد ان كانوا قد فرقوا دينهم شيعا وكانوا متنازين متلاعنين في فوضى دينية
وجمعهم على رئيس واحد اعدوا حاكم واحد ، هو رسول الله وخلفاؤه
من بعده ، بعد ان تعدد حكامهم ورؤسائهم وكانوا في فوضى سياسية .
وبذلك يكون الاسلام قد جمعهم الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ولم
يعهد لها نظير في ما صنيهم ، فتحولت احوالهم عن اللذائذ الفانية الى طلب
الرغائب السامية ، وتحول ما كانوا عليه من بغي وعدوان ونهب
وسلب ، الى حالة اخرى امتلأت قلوبهم فيها غضبا لله ولدينه ؛ وكان
الرسول قد بلغ رسالته الى ملوك الفرس والروم والحباشان فامتنعوا
او ترددوا او اخافوا السالبة وضيقوا على المتاجر فبعث اليهم البعث في
حياته وتبعه في هذا خلفاؤه الراشدون فكان المسلمون يتدافعون الى
غزوهم تدافع السيل الجارف حتى ملكوا عليهم بلادهم ، وفي أقل من
قرن كان الاسلام منتشرا فيما بين بلاد الصين من الشرق والمحيط
الاطلسي من الغرب ، وذلك كله فضل الوحدة واجتماع الكلمة في
جزيرة العرب

أما انتشار الاسلام بهذه السرعة فيرجع الى أنه دين سهل معقول
وهو أمس بمصالح الناس ، وأقرب الى قلوبهم ومشاعرهم وأدعى الى
الطمانينة . ودين هذه بعض صفاته يجد الى العقول منفذاً وإلى القلوب

مخلصاً ، ولو أن أهله استمسكوا بمروته الوثقى وعملوا على منتفى أصوله
وقواعده المحكمة لظلت رايتهم تحقق على ذلك الملك الواسع الاطراف
الى اليوم

تتمة

ليس ما ذكرناه في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات
وخوارق العادات التي جاء بها للتحدى ، وإنما كانت من الاحداث الموفقة
فقط ، الصادرة عن رجل من البشر أوتى الحكمة « ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيراً كثيراً » إذ كان فذاً في رجاحة عقله ، مفرداً في أحكام تدييره
وقد رسم بما أبرم من الامور ، وأحكم من التدبير . سبيل النجاح للذين
بنتهجون مناهجه ، وبين طريق الفلاح للذين كان لهم في رسول الله
أسوة حسنة ، وإذا كانت سيرته منهاجا يحتذى فهي ليست من باب
المعجزة ، اذ المعجزات خاصة بمقام النبوة لا تتعداه ، ولا فاضا به
بإستشيرهم ، ثم ما بالهم يشيرون عليه ، وما باله يرسم الخطط ، ويمد العدة
وينتصر وينهزم ، ألم يك انتصاره نتيجة ما وضع من الخطط والخذع
الحربية ، ثم ألم يك انهزام جيشه نتيجة ملازمة للاخلال بما كان قد
وضع من هذه الخطط ، ثم ألم يك كل ما صنع من هذا القبيل أمراً عادياً
يتداوله القادة والجند في زمان ومكان ولا دخل للعجاز فيه لانه جاء
على ما بهمة الناس وأسس على أسباب وأجرى على أساليب طبيعية
وليس ما نقرده من هذا انكار الشيء من الوحي والنبوة ولا جحوداً
بما كان الله يمد به أحيانا من الملائكة المقربين لينصروا على المشركين في
ظروف حرجية ليثبت بذلك الذين آمنوا ويزلزل أقدام الذين كفروا

وكان حقا على الله نصر المؤمنين وخذلان الكافرين لانهم شافوا الله ورسوله
غير أن الذي يكاد يكون اعجازا حقا هو ما تم على يدى رسول
الله من الحوادث العظمى التى لاتتم الواحدة منها الا فى قرون طويلة فى
مدى عشر سنوات فقط . ومنها ما أقصه عليك .

(١) أنشأ أمة متألفة متعاونة من قبائل العرب المتباغضة المتطاحنة
وأعدها إعدادا صحيحا لأن تنبؤا مكاتبتها بين أمم الارض ذات التاريخ
الجيد والفتح المبين والملك المريض ، والدولة القوية التى غنت لها
وجوه الاكسرة والقيصرة ؛ وصار ابناؤها يرون بحق انهم أهل للسيادة
على العالم ، وأولى بقيادة الامم ، ونشر العدل والسلم على الارض
وصار فى أقل من قرن تحقق راياتها على البلاد الممتدة من جدار
الصين شرقا الى المحيط الاطلسى غربا

(٢) أنشأ ملة وهى الدين الاسلامى دين التوحيد الذى ضم سكان
القفار العربية الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ولم يعهد لها نظير فى ماضيهم
فاجتث جذور الوثنية ، وطهر عقولهم من الاوهام الفاسدة ، فأصبح
الفرد منهم بالاسلام حرا لا يخضع الا لله الواحد القهار ، لا للاجبار ،
ولا للاشجار ولا للكهنة والعرافيين ولا لما يتوارث عن الآباء من
ضروب العقائد السخيفة ، وأنواع السفاهة والجهالة — ثم أصبح ذلك
البدوى الجلف الوحشى انسانا كريم الاخلاق ، مهذب النفس راقى
العواطف الى حدانه صار يتوقد غيرة وعظفا على البشرية المعذبة التى
تئن تحت سيطرة الفرس والروم ، وتستغيث رب الناس ليرسل اليها

من ينقذها من هذا الاستعباد، ويخلصها من هذا الظلم ، وقد حملت
العواطف ذلك البدوى بعد ان أسلم على ان يضحى بنفسه وماله في
سبيل انقاذ الانسان المظلوم من الانسان الظالم ، فهل عمل الاسلام في
نفسه عمل السحر حتى استحال بين عشية وضحاها من حال الى حال .

سبحانك اللهم قدرت فهديت من شئت الى صراط مستقيم

(٣) شرع قانونا أو جاء من عند الله بدستور عام هو القرآن الحكيم
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي أخذ العلماء
من الملل المختلفة على ما أفسدوا من العقائد ، وما خلطوا فيه من
الاحكام وما حرفوه بالتأويل ، والذي شرع للناس أحكاما تتفق مع
مصالحهم، وجاء بحكم ومواعظ وآداب خشت لها قلوبهم ودهشت لها
عقولهم، وانصرفت وراءها هممهم ، والذي حث على التعليم والارشاد
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلما اذعن اليه العرب بعد اسلامهم
اقاموا صروح دولهم عليه وجعلوه حجته القائمة على الامم الاخرى في
احكام احكامه وتقريره قواعد العدل والانصاف والحرية والمساواة
كل هذا تم في ربع قرن ثم كان له بعد ذلك في الامة الاسلامية
وحياتها المجيدة شأن عظيم

لقد احدث الاسكندر دولة، وحدث نابليون دولة، وحدث محمد
علي باشا دولة ، ووضع كل منهما لدولته من النظم ما ظن انه يكفل لها
السعادة ولكن كل منهم اقام دولته في اثم لها عهد بالملك والنظام ، فلم
يطرأ عليها جديد الا ذلك القائم بها وهو المتغلب — وفرق بين هذا وبين
ملك وشرع بضم سكان الصحاري العربية المتنافرة المتعادية التي لا عهد

لها الا بالخروج علي النظام ، لا قانون يخضعها ولا سلطان يجمع كلمتها
والسرف في هذه السرعة يرجع الى ان الاسلام دين الفطرة ، يحق الحق
ويبطل الباطل ، ويخاطب العقول ، ويحدد الحقوق ، ويدوي بين جميع
الطبقات في احترام النفس والدين والعرض والمال

كما يرجع ما انصف به رسول الله من اعتقاده صحة ما يدعو اليه ،
وثقته بتأييد الله ، واجتهاده في نشر دعوته بجميع الوسائل المشروعة
وثباته وصبره على ما كان يلاقيه من اذى اقرب الناس اليه وعم اهله
وعشيرته الذين نصبوا انفسهم لتحديده وغناؤه وتحريض القوم عليه —
لكنه قام بهذه الدعوة وحده صابرا ، وقومه ما بين مستهزى به وغافل
عنه ومستعد عليه ، أما هو فكان يقارعهم بالحجة ويناهضهم بالدليل
ويأخذهم بالنصيحة ويزعجهم بالزجر وأخيرا سفه احلامهم ، وضلل آبائهم
وسخف من آلهتهم ، وانذرهم عذابا أليما ، والى ذلك صباح مساء حتى
أخذتهم العزة بالاثم واجمعوا أحرم بينهم على قتله ليربحوا الناس منه
لولا ما كان من حماية عمه أبي طالب اباه

بهذه الاخلاق وما مائلها ، نجح في فتحه ونشر دين الله واعلان
أحكامه في ذلك الزمن القصير الذي أصبح العرب فيه أمة : من الدين
على التوحيد ، ومن الاخلاق على شرعة الفلاسفة الذين قتلوا الغرائز
والميول بحثا ، وما أدراك أن أثر ذلك قد ظهر بعد قرن واحد اذ سارت
الامة العربية دولة الزمان ، وقد تغيرت بفتوحها عقائد ولغات وعادات
ان في ذلك لا ذكرى لاولى الالباب وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم

